16 em Année No. 790

Lundi — 23 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٩٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شوال سنة ١٣٦٧ — ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

يهـــوه على الأرض

للأستاذ نقولا الحداد

جاءنا برنادوت المجيء الثانى بأوامر ما أنزل الله بها من سلطان ، ولكنه هو أنزل أو يريد أن ينزل سلطاناً . جاءنا بأمر هدنة لا نهاية لها . والعادة أن الهدنة يقترحها أحد المتحاربين ويقبلها الآخر لأن كلا من الفريقين يحتاج إليها لغرض واحد كأن يتفقا على دفن قتلاهما . ولكن هذه الهدنة فرضها برنادوت فرضاً لأجل غير مسمى بلا لزوم ... بسلطان مَن فرضها ؟ — بسلطان مجلس الأمن ... يحتاج إليها اليهود ولا يريدها العرب ؛ ولكن مجلس الأمن أمر ، وأمره الأمر . لماذا ! لعل هذا المجلس هو الله على الأرض ؟ ... ونحن لا نعرف إلهاً على الأرض إلا ما نسمع اليهود ينادونه حيناً بعد حين : « يا إله اليهود » كذا يدعون ويتوسلون ويصلون . . فمن هو إله اليهود هذا ؟ هل هو غير إله المسلمين والمسيحيين ؟ — يظهر أنه إله آخر غير إله العالم كله . بحثنا عنه فى توراتهم فإذاً هو الجنرال يهوه رب الجنود . انظر سفر الخروج ٦ : ٣ ومعناه « سيصير » أى أنه سرمدى . واسمه أيضاً أهيه الذى أهيه ومعناه « يكون » خروج ٣ : ١٤ ونصوص التوراة تصور لنا يهوه إنساناً عظيماً يخاطب البشر ويأمر موسى ويوشع أوامر لا تطابق التعاليم الدينية الصالحة كسفك الدم والنهب . ويغضب وينتقم ، إلى غير ذلك من أخلاق البشر . والله منزه عن كل هذه الصفات .

فهل نزل إلههم إلى الأرض لكى يصدر أوامر كما كان يصدر أوامر إلى يشوع حين جعل يغزو أرض كنعان بسفك دم ونهب وتقتيل كبار وصغار ورجال ونساء ؟

إذا كانت هذه الهدنة أبدية فالمعنى أن الحرب انتهت . على أى اتفاق انتهت ؟

هل يريد مجلس الأمن أن يفرض معاهدة خاصة على اتفاق خاص فرضاً ؟ العادة أن الاتفاق يتم برضى الفريقين وإلا فلا اتفاق وإذن فلا هدنة ، وإذن يكون إرغام أحد الفريقين على المهادنة دون الآخر هو بأمر يهوه . وقد قال برنادوت أمس فى صراحة بهذا الصدد « أنه سيبلغ مجلس الأمن عن الفريق الذى ينقض الهدنة والمجلس يقرر العقوبة . ولكن ليس معنى هذا أن الفريق الآخر يجوز له أن ينقضها بل يجب عليه يحافظ عليها » ومعنى هذا الكلام اللغو : أنه إذا هجم اليهود بألفى جندى على القدس القديمة يجب أن تبقى الحامية العربية التى فيها مكتوفة الأيدى تتلقى رصاص اليهود بصدورها .

وما على برنادوت إلا أن يبلغ الخبر إلى مجلس الأمن وينتظر الجواب !

هذه هى شريعة يهوه جنرال اليهود الذى نزل إلى الأرض فى هذه الأيام !

* * *

طلب السير ألكسندر كادوجان إلى مجلس الأمن أن يرسل ١٠٠ ألف جنيه للاجئين العرب فرفض المجلس هذا الطلب !

ألو كان شرتوك هو الذي طلب هذا الطلب فهل كان مجلس الأمن يرفض ؟ من كلف كادوجان أن يطلب إعانة للاجئي العرب ؟ ومن قال له أن العرب يقبلون إحساناً من أية أمة ؟ في حين أن قسما كبيراً من مالية هيئة الأمم هو من الدول العربية . والدول العربية كلها قررت أن تفرض ضريبة خاصة لإعانة المنكوبين . ولكن هي إنجلترا كالثعلب تتظاهر أحياناً بالعطف على العرب في حين أنها تغدر بهم في الخفاء .

إن المائة ألف التي اقترحها كادوجان لا تكفي إلا ربعمائة ألف لاجيء أسبوعين . والملك عبد الله ينفق كل يوم ٢٢٠٠ جنيه ثمن خبز للاجئين عنده .

* * *

جاء برنادوت بمهمة وضع مشروع لفلسطين يقبله العرب واليهود . وقد جرب حظه في الهدنة السابقة فخاب سعيه ؛ لأن المشروع عقيم ، وبرنادوت لا يستطيع أن يخصب العقيم . وهو يعلم شرط العرب الذي لا يقبل الجدل بتاتاً ، وهو عروبة فلسطين التامة . فلماذا يضيع وقته ووقتنا في طلب المستحيل . إذن ستبقى الهدنة إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين . فما معنى هذه الهدنة الأبدية وما الغرض منها ؟ أيريد سمو الكونت برنادوت أن يصيف ويشتي ، ويصيف ويشتي ، في رودس إلى ما شاء الله على حساب هيئة الأمم ؟ ما أسخف منه إلا المجلس الذي انتدبه . لو كان شريف المحتد كما يقال وله شيء من كرامة النفس لما قبل هذه المهمة غير الشريفة .

جعل برنادوت مسألة اللاجئين العرب في مقدمة مساعيه . يريد على زعمه رجوع العرب الفارين من وحشية اليهود وتفظيعهم على الرغم من أن اليهود يرفضون رجوعهم بل يريدون أن يؤتى بيهود من الخارج يحلون محل العرب المهاجرين .

على أي أساس يقترح برنادوت رجوع المهاجرين العرب ؟ هل يضمن أن اليهود لا يعيدون تمثيل دور دير يس الفظيع ؟ أم هل يسمح بأن يتسلح العرب الراجعون تسليحاً كاملا ضخماً لكي يدرأوا عنهم شر أولئك الوحوش الطغاة ؟ أم يقول إنه يأخذ على اليهود عهداً بأن يكونوا قدسيين إنسانيين . وإذا كنا لا نصدق عهود كبريات الدول فهل نصدق عهود أبنائها اليهود المدللين ؟

ثم يقترح برنادوت أن يغاث العرب اللاجئين مدة تشردهم عن بلادهم إلى أن يعودوا إلى بلادهم . وهناك ما ذا يكون ؟ هل يتقدم أصحابه اليهود لإطعامهم وإيوائهم بعد أن هدموا منازلهم ونهبوا بيوتهم وساقوا أنعامهم ولم يبق لهم لا مأوى ولا طعام حتى ولا زرع يستغلونه ، لأن اليهود أحرقوا الزرع واستغلوا ما استغلوا منه .

هل فكر الفيلسوف برنادوت حلال المشاكل في كل هذا قبل أن يرحل إلى بلاده لكي يحضر مؤتمر الصليب الأحمر ؟ أم أن المنكوبين يصومون نياماً تحت الشجر إلى أن يعود بالسلامة ؟

* * *

يقول إنه سيعود إلى بلاده لكي يحضر مؤتمر الصليب الأحمر ، وبعد ذلك يعود لكي يبسط مشروعه بشأن فلسطين ويهتم بالعقدة العربية الصهيونية . يعني ما دامت الهدنة أبدية فلا بأس أن يؤجل ويسوف ولا يهمه أن يقلق الناس في الشرق العربي على المصير . إذن لا يستطيع أن يفعل شيئاً الآن ونحن نعلم أنه لا يستطيع . فليه إذن أن ينفض يده من هذه المهمة العقيمة والعرب وحدهم يمكنهم حل هذه المشكلة . فلماذا يتعب نفسه فيما لا طائل تحته ؟ لسنا نصبر إلى أن يقوم في « كيف » برنادوت أن يقضي أمراً أو يقول كلمة . ونحن عندنا مشردون معذبون يجب أن يعودوا إلى بلادهم مطمئنين لا أن يحتلها قوم جاءوا من آخر الدنيا غزاة طغاة . وعندنا جيوش واقفة في الميادين معطلة عن العمل . فإذا لم يستطع برنادوت أن يأتي بحل للعقدة لكي ينفرط عقد هذه الجيوش وتعود إلى مواطنها ، فلا أقل من أن تنزل الجيوش الميدان وتحل العقدة بسيف الاسكندر . دعنا نحن نحل العقدة ، فنحلها بسهولة .

لا نسمح أن تحل العقدة بأن يرخي برنادوت العنان قليلا لليهود لكي يتقدموا خطوة ، ثم يشد العنان للعرب لكي يتأخروا خطوة . هذا أسلوب ماكر خبيث لا يسمح به العرب . كفى تحكما سخيفا على الذقون .

* * *

والآن نوجه العتاب إلى الجامعة العربية الموقرة : أن العالم

العربي كله يضج بسبب طول أناة الجامعة ومراعاتها إحساس بعض الدول الكبرى وخاطر مجلس الأمن، وقد علمنا أن مجلس الأمن كهيئة الأمم مؤتمر للصوفية. وفهمنا أن الإنجليز الذين يتظاهرون بالعطف على العرب أحياناً وبالعطف على اليهود أخرى هم أروغ من ثعلب. فحتى متى تصبر الجامعة على هذا المكر الدولي؟

اليهود ينقضون الهدنة كل يوم، فهذا يسوغ لنا أن ننقضها أيضاً وأن توعز الجامعة إلى الجيوش العربية أن تنقض على اليهود في فلسطين في وقت واحد، وتقذف بهم إلى بحر تل أبيب، فتخلص البلاد من شرهم وتحرر إخواننا العرب الذين وقعوا بين براثنهم في يافا وحيفا وعكا.

كفى ياسادة صبراً وأملا بالسراب! إن كنتم تحسبون حساباً لمساعدة الدول العظمى لليهود فخير لنا أن ننكسر في حرب تشنها كل الدول علينا من أن ندع السرطان الإسرائيلي يتغلغل في بلادنا ويقضي على حريتنا قضاء مبرماً. الانهزام في حرب دولية ولا الاستخذاء للصهيونية ...

نقولا الحداد

ما أشبه الليلة بالبارحة؟

مكر يهـــود

للأستاذ عمر الخطيب

> [إن في العار الذي يكلل رؤوس العرب، وإن في العار الذي يجلل رؤوس اليهود، لمادة ثرة للخيال المبدع، ومداداً فياضاً للقلم الخالق]
>
> «الأستاذ الزيات»

على البطاح المطلة على (يثرب)، وبين تلك الشعاب البيض التي تمج بالرمال، وتنام في أحضان الجبال، تسكن قبيلتان جمعت بينهما وشائج القربى وأواصر النسب، وفرقت بينهما شريعة الصحراء، والجهالة الجهلاء، هما (الأوس والخزرج) اللتان استفحل العداء بينهما، وأكل قلوب زعمائهما وأودى بهما إلى حروب طاحنة ومعارك دامية، أرثت بينهما نوازع الشر، والتهمت الشباب الغض، حتى أصبحوا لا يفترقون من وقعة حتى تجمع بينهما أخرى، وما يجف الدم من معركة حتى يسيل ثانية وبفور:

إذا افترقوا من وقعة جمعتهم دماء لأخرى ما يطل نجيمها

وآخرها تمخضت عنه هذه الأحداث النكراء، والترات الدكناء حرب كبرى لم يشهد العرب لها مثيلاً، أورت الجزيرة زناد الفتنة، وشطرت العرب أشطاراً متناحرة، وجعلتهم أحزاباً متنافرة، تلك هي حرب (بعاث) التي تجندل في حومتها الفرسان وسارت بحديثها الركبان، والتي كان للشعراء فيها معارك أخرى ليست الألسنة فيها بأقل إيلاماً من السيوف، ولا القصائد بأدنى تأثيراً من السهام؛ وإذا كان السيف المهند يطيح بالرأس، والسهم المريش يزهق النفس، فإن اللسان العضب يخدش العرض الكريم بالمذمة، والقريض القوي يطعن الأنف الحمي بالمهانة ...

***

ولما أن ظهر في الجزيرة (محمد) يحمل رسالة الله وشرعة الحق، ويدعو العرب إلى دين الأخاء والمساواة، ومبدأ العدالة والنور، استشار العربُ أحبار اليهود في أمر هذا النبي الجديد وقالوا لهم: «يا معشر يهود! إنكم أهل الكتاب الأول، وأهل العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالت اليهود: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه»[1]. فخالفوا بذلك شريعة التوحيد، وناقضوا تعاليم التوراة.

بيد أنه لم يمض غير قليل حتى اشتد أزر هذا الدين، وقوي ساعد هذه الدعوة، والتف العرب حولها، واستبسلوا في سبيلها، إذ كانت حمامة السلام بين القبائل المتلاحمة، والأحزاب المتخاصمة طمست من بينهم معالم الشر، وأطفأت نار الحرب، وجعلت من هؤلاء الأعراب الجفاة خير عون وأقوى نصير، وإذا بالأوس والخزرج تتآخيان بعد التلاحي، وتتصافيان بعد التجافي،

---

(١) يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون في كتابه (تاريخ اليهود في بلاد العرب): «كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي، ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم ...»

وتسيران معاً فى ركاب هذا الدين الجديد ، تحت قيادة الرسول العظيم ...

ولما هاجر إلى المدينة كانوا (أنصاره) الصادقين ، وأصحابه المخلصين ، آمنوا به وآزروه ، وعاهدوه على أن ينصروه ، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم وأنفسهم ، واستقبلوا إخوانهم المهاجرين أحسن استقبال ، وأنزلوهم خير منزل حتى ليقول عبد الرحمن بن عوف فى حديث له : « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وآخى بينى وبين سعد بن الربيع فقال سعد بن الربيع : إنى أكثر الأنصار مالاً ، فأقسم لك نصف مالى ، وانظر أى زوجتىّ هويت ، نزلتُ لك عنها ، فإذا حلّت تزوجتها ... »

وهكذا تكوّن من هؤلاء جيش الإسلام الأول وفرسانه الكماة وأبطاله المغاوير الذين بذلوا فى سبيله أموالهم وأرخصوا أرواحهم ، حتى أعزه الله ، وساد الجزيرة ، وعم صداه أرجاء المعمورة ...

* * *

شهد (يهود) هذا التحالف القوى والإخاء المتين ، وأوجسوا شراً من هذا الدين ، وأجمعوا على الكيد بمحمد ، والمكر بأصحابه لأنهم علموا أن هذا الدين — لا محالة — سيعلو ، وإن هذا الرسول سيقوى ، وإن القوة ستحمى ذمار الحق حتى ينتصر ويسود ، ولما أنهم (أهل كتاب) يعلمون صدق الرسول فى دعواه ، يئسوا من القضاء على دعوته ، واتفقوا على المكر به وبصحابته ، واليهود أبطال الكيد فى الخفاء ، وأهل الخيانة والمكر ، لا تعجزهم الحيل ، ولا يتورعون عن الغدر !

أما من حيث مكرهم برسول الله ، فقد حرّضوا (لبيد بن الأعصم) الذى اشتهر بعداوته للرسول وشدة البغض له فسحره ، بيد أن جبريل أخبره بذلك السحر وبمكانه ، ورد الله كيد الخائنين ، وعفا رسول الله عن لبيد وقال : « أما أنا فقد عافانى الله ، وكرهت أن أثير على الناس شراً » (يعنى بقتله) .

وأرادوا بعد ذلك أن يمكروا بأصحاب الرسول ويفرّقوا جمعهم ، حتى ينفضوا عن (محمد) ويعتزلوا دينه ، فيبقى وحده فى الميدان دون نصير يمنعه ويؤيده ، بعد أن كذّبته (قريش) ، واشتدت فى إيذائه ، وأجمعت على قتله ، وتفريق دمه بين القبائل ، فلبثوا يرتقبون الفرص ، ويحيكون الدسائس ...

* * *

خرج (شاس بن قيس) ، وهو من أحبار اليهود وزبانيتهم يجوب فى أطراف يثرب يوماً وحوله بعض أعوانه ، وقد بيّت فى نفسه شراً ، بعد أن ضاقت به الحيل ، وتقطعت به أسباب المكر ، فألفى (الأنصار) مجتمعين ، وقد رفرف فوقهم طائر اليمن والخير مستبشرة نفوسهم ، متهللة أساريرهم ، ترقص قلوبهم طرباً بهذا (الإسلام) الذى جمع بينهم ، ووحد صفوفهم ، وأزال من بينهم الضغائن والإحن وأبدلهم بها حباً وإخاء ، وألف بين قلوبهم برابطة الإيمان ، فأصبحوا بنعمته إخواناً ...

شهد هذا اليهودى الماكر ، هذا المجلس الهادئ ، فغاظه صلاح ذات بينهم ، وقال : « قد اجتمع بنو قيلة(1) والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار » . وأزمع على أن يمكر صفوهم ، ويوقع بينهم ، فرجع بذهنه إلى يوم (بُعاث) ، وما كان فيه بينهم من هجاء وعداء ، فوجد فيه مجالا للاستغلال ، وموطناً لإثارة الأحقاد الدفينة ، وأيقن أنه يستطيع أن يفض مجلسهم ، ويحرك أنفسهم ، حتى تعود الخصومة بينهم أشد مما كانت ، فتفل عزائمهم ، وتحل روابطهم ... ويرجعوا أقواماً متلاحين ، وقبائل متخاصمين ، ويتفرقوا عن (محمد) ، ويتخلوا عن تأييد رسالته ، وهذا ما تتقطع دونه أعناق يهود ، وينفقون فى سبيله أعز ما لديهم ...

التفت هذا الغادر إلى واحد من أعوانه فوسوس إليه : أن يعمد إلى مجلس (الأنصار) فيجلس معهم ثم يذكر يوم (بُعاث) وينشدهم قصائد شعرائهم ، ويعمل على المكر بهم ، والقضاء على ألفتهم ...

* * *

لم يدر (الأنصار) كيف تسلل إليهم هذا اليهودى الخبيث ولم ينتبهوا لمهمته ، ولم يتيقظوا لمكيدته ، فوقف بينهم يذكر يوم (بعاث) ، وينشدهم ما كانوا يتقاولون به من أشعار ، ويؤلب الأوس على الخزرج ، حتى وقعت الواقعة ، فذكر القوم ذلك اليوم ، وتنازعوا وتفاخروا ، وأنشد كل أقوال شاعرهم ، ونادى

(1) هو اسم أمهم قيلة بنت كاهل .

الاتجاهات الحديثة في الاسلام : (*)

أسس الفكر الاسلامي

للأستاذ هـ . ا . ر . جب
أستاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد وعضو مجمع فؤاد للغة العربية

إذا أردنا أن نحيط علماً بالتيارات الفكرية الدينية بين المسلمين اليوم ، واجهتنا صعوبة عملية . فلم تحدث حركة فكرية من غير أن يكون لها تأثير . وسواء كانت دوافعها كثيرة وقوية أو قليلة وضعيفة ؛ فلابد من حدوث صدى لها . ولا يمكننا أن نتتبع الحركات الحديثة في الإسلام بدون أن نرفع القواعد من الأفكار الإسلامية .

وقد يبدو واضحاً أن الأساس المقنع هو الدولة الإسلامية في القرن التاسع عشر . أو على الأقل الإسلام في القرن الثامن عشر . ولكن هذه موضوعات لا زالت معلوماتنا عنها محدودة . وقد ذهب كتاب الإسلام إلى الاهتمام بالقرون الأولى إبان التقدم العلمي والديني ، وظهور حركة الصوفية وإخوان الصفاء . وبعد القرن الثالث عشر أو ما يقرب من ذلك ، كان معتقداً أن الإسلام باق على قواعده الثابتة التي خلقها له العلماء والمشرعون والحكماء والروحانيون ، فلن يتقدم بل يتأخر . وهذا الرأى يتراءى لنا — من بعض الوجوه — أنه صحيح . والحق أنه صدر عن احد علماء الإسلام المحدثين . ولكن لم تبق نظم العقيدة والفكر سائدة أكثر من ستة قرون . وإذ تقدمت القواعد

(*) H ' A ' R ' gibb : Modern Trends in Islam ' chicago 1947

أحدث مؤلفات المستشرق المشهور هـ : ا . ر . جب أستاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد . وقد ولد بمصر وقضى سنوات عديدة في الدراسة والكتابة عن الإسلام والمسلمين . وقراء العربية يعرفونه من بحوثه في مجلة الأدب والفن . وعندما كان أستاذاً زائراً للدين المقارن بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة ، وضع الأستاذ جب هذا الكتاب الذى نقدم اليوم ما تيسر من فصله الأول . وهو يكشف عن أساس وأسباب وطبيعة حركة المجددين ويحلل أهدافها ، ويشرح جهاد مفكرى الإسلام أمثال جمال الدين وأحمد خان ومحمد إقبال ، والصراع بين روح الشرق وعقل الغرب ، ويبحث القانون والمجتمع في الإسلام ، وأخيراً يتحدث عن الإسلام = في العالم .

وليس من شك في أن آراء الأستاذ جب جديرة بالاهتمام . وقد أهدى كتابه هذا إلى ذكري « محمد حسنين عبد الرازق » تخليداً لصداقة ٢٥ عاماً .

(المترجم)

هؤلاء : يا آل الأوس ! ونادى هؤلاء : يا آل الخزرج ! ولم ينصرف اللعين إلا بعد أن احمرت الأحداق ، واحتدم الغيظ ، وثارت الأحقاد ، وتطايرت الدماء إلى الرؤوس ، وافترقوا وقد تواعدوا على القتال ...

* * *

سمع رسول الله بما أصاب الأنصار ، فخرج إليهم فيمن كان معه من المهاجرين وفى وجهه الغضب ، ووقف بينهم يرمقهم بنظرات أرجعتهم إلى صوابهم ، وأعادت إليهم رشدهم ، ثم تطلع إليهم بعينين دامعتين وقال — وقد ملك عليهم ألبابهم ، وتمكن من شغاف قلوبهم — : « يا معشر المسلمين ! الله الله ! اتقوا الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ! بعد أن هداكم الله إلى الإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم » ... ولم ينته صلى الله عليه وسلم من كلامه حتى عرف القوم أنها نزغة شيطانية ، ومكيدة يهودية ، فتعانقوا وتمتمت ألسنتهم بكلمات الأخوة الحق ، والتوبة الصادقة ، وانتثرت من محاجرهم دموع الندامة ، وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد عاهدوه على الإخلاص لهذا الدين ، والاعتصام بحبل الله المتين ... وإذا بوحى الله ينزل على الرسول بهذه الآيات :

« يا أيها الذين آمنوا ، إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »[1]

(دمشق — المزة) عمر الخطيب
(في الفيحاء)

(١) سورة آل عمران

الظاهرية للعقيدة الإسلامية فى هذه الفترة ، فإن التكوين الأصلى لحياة المسلمين الدينية ، قد اعتراه التغيير والإصلاح .

وسنمعن النظر فقط فى الظواهر الحيوية الخارجية التى ظهرت فى الإسلام ، مثل تكوين الامبراطورية العثمانية فى الشرق الأدنى ، وقيام امبراطورية المغول فى الهند ، ونشاط الشيعة فى فارس ، والتوسع فى أندونيسيا وشبه جزيرة الملايو ، ونمو المجتمع الإسلامى فى الصين ، وطرد الإسبان والبرتغال من مراكش ، وامتداد نطاق الإسلام فى شرق أفريقيا وغربيها . وقد اعتبرها قدماء المؤرخين حركات حربية ، وإن عقيدة الغزو والتوسع عقيدة حية . ونحن نعرف — أكثر من قبل — الدور الذى لعبته هذه العقيدة .

إن أساس الفكر الإسلامى هو بالطبع : القرآن . وليس القرآن — كالإنجيل مجموعة كتب ذات تواريخ مختلفة وبأيدى متباينة ؛ إنه سفر من السور بلغها محمد (ص) فى السنوات العشرين الأخيرة من حياته تقريباً . فيشتمل على تعاليم دينية وأخلاقية ، ومجادلات ضد الكفار ، وخلاصات للحوادث السابقة ، وقواعد للشئون الاجتماعية والمسائل الشرعية . وقد اعتقد محمد (ص) أن كل ما جاء به من هـذه الأمور كان وحى من الله ، إذ لم يكن مصطبغاً بفكره الخاص . إنه كلام الله نفسه قام بتلقينه الملاك جبريل . وبعد ما قاله الأستاذ دنكن بلاك مكدونلد من اقتراب العالم المجهول من العقل السامى وعن نظرة الشرقيين للنبوة ، فإن من الضرورى أن أتتبع الأسس النفسية لهذه العقيدة .

إننا قد نحيد عن الصواب إذا اعتبرناها مجرد نظرية (بديهية) متوارثة جيلا بعد جيل منذ ألف وثلاثمائة عام . بل هى على النقيض من ذلك اعتقاد حى طالما تجدد وثبت فى عقل المسلم — وخاصة العربى — بدراسته للكتاب المقدس .

لقد عارض المسلمون المتدينون عامة فى ترجمة القرآن ، حتى إلى اللغات الإسلامية الأخرى (١)

وهـذا الاتجاه تؤيده أدلة نظرية ، منطقية فى حد ذاتها ، ولكن يمكن أن تعارض من اعتبارات مختلفة . ذلك أن القرآن أساساً غير قابل للترجمة ، كما هو الحال فى الشعر الرصين . إن المتنبى لا يستطيع أن ينقل نبوءته إلى لغة عادية ، يمكنه أن يعبر عن نفسه فى صور متكسرة ، كما تلعب موسيقى الأصوات دوراً غير محدود فى جذب عقل السامع لتلقى الرسالة . مثلا حالة الترجمات اللاتينية والإنجليزية لكتاب الإغريق والعبريين ؛ فقد أعطوا الكلمات الجديدة شيئاً من القوة العاطفية ، بدون اعتماد على التركيب — وأحياناً المعنى — الأصلى .

وإن ترجمة إنجليزية للقرآن ، ينبغى أن تستخدم تعبيرات دقيقة صحيحة للعبارات الرقيقة الذهبية فى اللغة العربية ، وفى نواحى القصص والتشريع وما أشبه ذلك ، تكون الخسارة أقل خطراً ، بالرغم من أن تفكك المعلومات ، بل والظلال الجميلة والجوانب البليغة ، قد يكون لها تأثير غـير محدد . فى جملة بسيطة مثل « إنا لنحن نحيي ونميت وإلينا الرحيل (المصير) » : (verily We give life and death and unto Us is the journeying) يستحيل علينا أن نظهر — فى الإنجليزية أو أية لغة أخرى — قوة الضمير « نحن » المكرر خمس مرات فى الكلمات الست الأصلية (١) .

إننا لن نتطلع إلى معنى القرآن عند العربى ، حتى نتبين قيمة الدور الذى تقوم به اللغة فى تحديد المواقف السيكولوجية .

فنزوع الحياة العقلية عند العرب — كما بين الآخرون — قد ازدهر بالخيال ، الذى ظهر فى الإبداع الفنى . ولطالما قيل إنه ليس للعرب فن ، وقد يكون هـذا صحيحاً إذا حددنا الفن بأعمال كالنحت والطلاء ... ولكنه يكون تحديداً ظالماً خاطئاً . فالفن هو أى إنتاج يعبر فيه الشعور الجمالى عن نفسه . وهناك شك فى حاجة الناس إلى التعبير الفنى بأى شكل ، سواء فى الموسيقى أو الرقص ، أو الفنون المادية والنظرية الأخرى ... وميدان الشعور الجمالى عند العرب هو أساساً الكلمات واللغة ، وهـذا أكثر إغراء بل أعظم ثباتاً وخطراً من سائر الفنون . إذن فمن السهل أن نفهم السبب فى أن العرب — الذين عندهم استخدام الكلام البليغ أسمى الفنون — يرون فى القرآن أعجوبة حقيقية وعملا فوق طاقة البشر .

ولقد كان العرب والمسلمون عامة مجبرين على إنكار الأفكار

---

(١) يرى علماء الأزهر الآن جواز ترجمة القرآن لأغراض غـير دينية بواسطة مسلمين أعاجم : أنظر نور الإسلام (مجلة الأزهر) س ٢ ص ١٢٢ — ١٣٢ ، س ٨ ص ٧٧ — ١١٢ ، ص٣ ، ١٢٣ - ١٣٤ ، وخاصة بحث الأستاذ محمد فريد وجدى : « الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن » ويعارض الرأى بشدة السلفى الشيخ رشيد رضا — فى كتابه : « ترجمة القرآن » ، (القاهرة ١٩٢٦) .

(١) سورة ٥٠ آية ٤٢ : إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير (ق)

العالمية مثل « القانون الطبيعى » أو العـدل المثالى ، وأظهروا الثنائية أو المادية على أنها مؤسسـة على طرق مزيفة فى التفكير تنتج خيراً قليلا وشراً كثيراً . وسنرى كيف أن مصلح الإسلام الكبير — فى القرن التاسع عشر — جمال الدين الأفغانى ، صب جام غضبه على المجددين الهنود الذين حاولوا إثبات صدق الإسلام بمناقشة « تلاؤمه مع الطبيعة » . ومع أن العلماء المسلمين قد وجدوا فى المنطق والرياضـات — مثلا — فائدة ، وشجعوا الأسلوب « العلمى فى التفكير » إلا أنهم قد أبقوا هذه الأمور فى مراتب ثانوية .

والإجماع من مميزات الفكر الإسلامى . وهناك من حاولوا تحديده بإجماع المتعلمين ، ولكن حادثاً عجباً فى القرن السابع عشر يبين كيف كان هذا النوع لا فائدة منه ، حتى ولو آزرته القوة الحاكمة ضد الرأى العام . فمنذ ما بدأ استعمال القهوة ينتشر فى الشرق الأدنى ، أجمع العلماء على أن شرب القهوة حرام ، وعقوبته مثل عقوبة شرب الخمر . وفعلا حوكم بعض الأفراد لانغماسهم فى شربها علانية ! (١) ولكن إرادة المجتمع تغلبت . واليوم يحتسى الجميع القهوة بحرية حتى المتزمتون الذين يعارضون الإجماع فى البدأ .

ومن الواضح أن الإجماع كان دائماً موضع خلاف بين المحافظين والمجددين ، وهو ليس مبدأ حرية بل أساساً للسلطة ، ولو أن حكمه يقتصر على المسائل التى لم يحكم فيها القرآن أو السنة ، لذلك ولأنه قوة تسمح بما يسمى تجديدا ، فإن العلماء الروحانيين على مر العصور — من القرن الثالث إلى الوهابيين اليوم يعارضون فيما يترتب عليه ، ويقصرون شرعيته على الجيل الأول من المسلمين . هذا فى حين أن المجددين على الدوام قد اعتمدوا عليه فى توسيع مدى عدالة أعمالهم (٢) .

والاجتهاد عكس الإجماع . وقد أطلق عليه إقبال « مبدأ الحركة فى الإسلام » ولابد من معرفة معنى الاجتهاد والدور الذى لعبه فى تاريخ الفكر الإسلامى . وهو — كما يعتقد بعض المجددين حرية الحكم . ومن الناحية الأدبية يعنى الاجتهـاد : إجهاد النفس فى محاولة الكشف عن الأغراض الحقيقية لتعاليم القرآن والسنة . وقد عمل المتدينون على تحديد مرضوعه خوفاً من أن يفتح باب المعارضة الفردية والانقسـام . وأخيراً لم تبق ثغرة فى هذه المسائل لم تسد ، فأقفل باب الاجتهاد تماماً (١) .

ومهما يكن من شىء فإنها ظاهرة خطيرة للسنة الإسلامية Sunni Islam فى قبولها للاختلافات الواقعة فى الرأى فى المجتمع — ولطالما تفخرت بهذا — وأحسن مثل هو المذاهب الأربعة فى الشرع : الحنفى والمالكى والشـافعى والحنبلى ، أسسها الأئمة الأربعة فى القرنين الثانى والثالث ، وهم جميعاً من السنيين . فهذه المذاهب — مثلا — تدرس فى جامعة الأزهر الدينية . حقاً إن الاختلافات بينها تنحصر فى نقط ضيقة فى الشرع والشعائر ، بالرغم من أن الحنابلة — بمداهم المستحكم لكل المجددين — يعارضون الإجماع من الناحية الدينية — فى كل شىء إلا مدلوله الضيق ، وأحياناً يظهرون عدم رضائهم عن الآراء الأخرى .

(يتبع) ترجمة محمد محمد على

---

(١) راجع دائرة المعارف الإسـلامية ، مادة « قهوة » ، بقلم س . فان أرندنك .

(٢) يجد القارىء خلاصة لنتائج البحث فى الإجماع فى كتاب : O ' Pesle ; Le Fondements du droit musumau ' Casad lanca ' 1644 . وكذلك دائرة المعارف الإسلامية مادة إجماع بقلم د . ب . مكدونلد . وقد ظهر حديثاً كتاب (الإجماع فى الشريعة الإسـلامية لصاحب المعالى على عبد الرازق بك . (المترجم)

(١) نوقش موضوع تحديد الاجتهاد فى نور الإسلام — مع إشارة خاصة الى دعاوى المجددين : س ١ ص ٣٧ — ٤٢ ، ٣ ص ٢٨٤ — ٢٨٦ ، س ٤ ص ٣٩١ . وتجد الرأى الإصلاحى السلفى فى كتاب . H ' Laoust Le Califat dans la doctrine de Rachid Rida ' Beirut ' 1638

مســـــكويه

أبو على الخازن (*)

الأديب ، الفيلسوف ، المؤرخ ، الحكيم ، القصصي

توفى (٤٢١ هـ) — (١٠٣٠ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

نشأ فى كنف آل بويه ، وهم على رأى ابن طباطبا فى الفخرى من الفرس وليسوا من الديلم ، وإنما سموا بالديلم لأنهم سكنوا بلاد الديلم ، وهى فى الناحية الجنوبية الغربية من بحر قزوين ، كثيرة الأشجار والغابات ، غزيرة الأمطار ، يشتغل أهلها بصيد الأسماك والتحطيب .

وقد سميت هذه العائلة بآل بويه ، نسبة إلى بويه جدّ العائلة ومؤسسها ، وكان صياد سمك ، وكان أحد أبنائه الثلاثة معز الدولة (أبو الحسين أحمد) يقول بعد تملكه البلاد « كنت احتطب الحطب على رأسي » .

نشأت هذه العائلة المالكة من هذا الأصل الوضيع ، واستولت على الخلافة العباسية ، فعزلت الخلفاء وولتهم ، واستوزرت الوزراء وصرفتهم ، وانقادت لأحكامها أمور بلاد العجم وأمور العراق . وملكوا مئة عام من ٣٢٢ هـ إلى ٤٢١ هـ حين انقرض ملكهم وهى السنة التى توفى فيها مسكويه ، ربيبهم ، وخازنهم ، ومؤرخهم بل صديقهم الذى عاش فى نعمائهم وترعرع فى قصورهم(١) فكان نعم الصديق الحكيم المشير .

تتلمذ على الرئيس أبو على ابن سينا (توفى ٤٢٨ هـ ١٠٣٦ م) ولم يقدر الرئيس مواهبه ، وليس هو بأول نابغة يخيب ظن الأساتذة فيه . وقد ذكره الرئيس فى بعض كتبه قال « فهذه المسئلة حاضرت فيها أبا على بن مسكويه فاستعادها كرات وكان عسر الفهم ، فتركته ولم يفهمها على الوجه » . هذا معنى ما قاله

(*) أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه (أو ابن مسكويه) الرازى الأصل ، الأصفهانى السكن والخاتمة ، كان مجوسياً فاسلم .

(١) الفخرى ص ٢٤٩ — ٢٥١ .

ابن سينا لأننى كتبت الحكاية من حفظى (كذا يقول ابن القفطى فى أخبار الحكماء ص — ٢١٧) .

أما أبو حيان فى كتابه الامتاع فقد وصفه بقوله (وأما مسكويه ففقير بين أغنياء ، وغنى بين أنبياء (١) ؟) (كذا) لأنه شاذ ، وإنما أعطيته فى هذه الأيام صفو الشرح لإيساغوجى(٢) وقاطيغوياس(٣) من تصنيف صديقنا فى الرى(٤) (معجم الأدباء لياقوت ج ٥ — ص ٥) .

واتصل مسكويه بكبار أدباء زمانه ومنهم ابن العميد(٥) واتخذه هذا خازناً لكتبه كما ذكره أبو حيان فى كتاب الوزيرين ، وراسل بديع الزمان الهمذانى(٦) وتدرج حتى صار خازناً للملك عضد الدولة بن بويه وكان مأموناً لديه أثيراً عنده وله مناظرات ومحاضرات ...

على أن مسكويه لم يكن أديباً بارعاً فحسب بل كان مؤرخاً ممتازاً فلقد ألف كتابه الشهير « تجارب الأمم » بلغ فيه إلى بعض سنة ٣٧٢ هـ وهى السنة التى مات فيها عضد الدولة بن بويه صاحبه وهو كتاب جميل كبير يشتمل على كل ما ورد فى التاريخ مما أوجبته التجربة وتفريط من فرط وحزم من استعمل الحزم(٧) .

ولم تقتصر جهوده على الناحيتين الأدبية والتاريخية بل كان « فاضلاً فى العلوم الحكمية متميزاً فيها خبيراً فى صناعة الطب جيداً فى أصولها وفروعها وله من الكتب كتاب الأشربة وكتاب الطبيخ(٨) » .

ويقول عنه ياقوت فى معجم أدبائه(٩) (ويظهر أنه كان

(١) كذا فى الأصل ولعله قصد وغبى بين أنبياء .

(٢) المدخل إلى كتاب المنطق لأرسطو .

(٣) هو أحد كتب أرسطو المنطقية الثلاث ، وهى قاطيغورياس ، وبارى أرمينياس ، وأنولوطيقا .

(٤) هو أبو سليمان المنطق ، كان معتزلا من أصحاب أبى حيان التوحيدى

(٥) الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى صاحب طريقة الشعر المنثور توفى ٣٦٠ هـ .

(٦) أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل والشاعر المبدع صاحب المقامات المشهورة . نشأ بهمذان ونبغ فى الأدب توفى (٣٩٣ هـ)

(٧) طبعت الجزء الأول لجنة جب . كما طبع الجزءان الخامس والسادس منه .

(٨) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ج ١ — ٢٤٥) .

(٩) ج ٥ — ص ٥ .

مشغولا بطلب الكيمياء مفتوناً بكتب أبي زكريا وجابر بن حيان فلم يكن يلتفت لغير ذلك. وقد قطن العامري الري خمس سنين يدرس ويملي ويصنف ويروى، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة، ويظهر أنه ندم على ذلك وأنبه أصدقاؤه. ومع هذا فهو ذكي حسن الشعر، نقي اللفظ، ويظهر أنه كان بخيلاً (!)

وقد ترك لنا صاحب الترجمة كتباً قيمة في الأخلاق والتربية والفلسفة منها «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق» و«كتاب تهذيب الأخلاق» في التربية، و«الطهارة في تهذيب الأخلاق» و«الفوز الأصغر» و«لغز قابس» وكتاب «الفوز الأكبر» و«كتاب ترتيب العادات» الخ.

وله وصية أنهاها بهذه التذكرة وهو يدعو للعمل بموجبها، وهي تشتمل على أرقى المثل العليا وأسماها، وتلخص لنا فلسفته في الحياة ومذهبه في السلوك. وهي خمسة عشر باباً:

١ — إيثار الحق على الباطل في الاعتقادات والصدق على الكذب في الأقوال والخير على الشر في الأفعال.

٢ — كثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائم بين المرء وبين نفسه ...

٣ — والتمسك بالشريعة ولزوم وظائفها، وحفظ المواعيد حتى ينجزها. وأول ذلك ما بيني وبين الله جل وعز.

٤ — وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال[1].

٥ — ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك.

٦ — والصمت في أوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل.

٧ — وحفظ الحال التي تحصل في شيء حتى تصير ملكة ولا تفسد بالاسترسال.

٨ — والإقدام على كل ما كان صواباً.

٩ — والإشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره.

١٠ — وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي.

١١ — وترك التواني، وترك الاكتراث لأقوال أهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم، وترك الانفعال لهم.

(١) استرسل في الكلام انبسط فيه واتسع، وإليه، انبسط إليه واستأنس ...

١٢ — وحسن احتمال الغنى والفقر، والكرامة والهوان بجهة وجهة.

١٣ — وذكر المرض وقت الصحة، والهم وقت السرور، والرضا عند الغضب، ليقل الطغى والبغي.

١٤ — وقوة الأمل وحسن الرجاء.

١٥ — والثقة بالله عز وجل وصرف جميع البال إليه.

هذه الشخصية النابغة، قد تركت لنا آثاراً خالدة في الأدب والتاريخ، والكيمياء والطب والحكمة والأخلاق والفلسفة، تشتمل على ناحية مجهولة لم يشر إليها الكتاب قبل الآن على ما نعلم، تلك هي ناحية القصص.

فقد جاء في أخبار الحكماء لابن القفطي[1]، أن من تصانيف ابن مسكويه كتاب أنس الفريد وهو أحسن كتاب صنف في الحكايات القصار والفوائد اللطاف. ويصف لنا ياقوت في معجم أدبائه هذا الكتاب النادر[2] فيقول «كتاب أنس الفريد، مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً وحكماً وأمثالاً غير مبوب».

وقد لفت نظري هذا الكتاب، وخصوصاً وإن ابن القفطي يقول عنه أنه أحسن كتاب صنف في الحكايات القصار، والفوائد اللطاف.

ولما كان هذا النوع من الأدب العربي نادراً أخذت أفتش عن هذا الكنز الضائع في مكتبات فلسطين ومصر، والأستانه وإيران الخ. واستعنت بقناصل تلك الدول وحكوماتها ولكن جهودي المتكررة لم تثمر مع الأسف حتى الآن.

إن الذي يكتشف لنا «كتاب الأنس الفريد» لابن مسكويه الخازن إنما يعثر على كنز ثمين، ويضيف ثروة أدبية قيمة إلى تراث السلف الصالح.

أحمد سامح الخالدي

(١) ص ٢١٧.
(٢) ج ٥ ص ٥.

توبة المحروم ! ...

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

بقي في « نيويورك » يكدح وراء الرزق الشرود عشر سنين دأباً ، ثم أصاب حظاً سعيداً بعد نحس ، وارتجع(١) مالاً كثيراً بعد بؤس ، فعاد — وهو على عتبة الأربعين — إلى مسقط رأسه (الميناء)(٢) بلدتنا الهادئة المنعزلة التي توشك ألا تسمع فيها الاجال الطبيعية ، وألا تحفظ لها ألا الاستعصام بالتقاليد .

وما جداك أن أصف لك « ميناءنا » الجميلة ، فما أراك راغباً في الوقوف على ما صنع الغنى بصاحبنا الذي أوى إلى بلدته بعد غيبة طويلة ؛ فهل غردت له بلابل السعادة أغاريدها الحلوة ، وهل هتفت له هتفاتها الناعمة ، أم نعبت له غربان الحوادث بشقاء جديد ، ولاعت قلبه بهوان شديد ؟

* * *

علمت أنه كان في « ميناءنا » قبل أن يتسع رزقه ورفه عيشه مضرب المثل في قناعة العفيف ، وعزة الشريف ، سليم الفطرة معتدل المزاج حنيف الدين ؛ فرجوت ألا ينقلب مهوان عن ماضيه ، ووددت لو أبقت يد غناه على ذكرى فقره فلم تمح صورتها من مخيلته ، ولم تبدد آثارها في فؤاده ، ولم تمر شجرتها أمام عينيه ، وتمنيت أن يكون له من صدق الأريحية وكرم الهزة ما يذكره بالفقراء والمعوزين الذين لا عمل لهم في بلدتنا إلا في البحر ، فلا يحرمهم من صدقات يوزعها ، أو زكوات يؤديها ، أو ثمرات يجبيها ، أو مشروعات يحييها ، أو مصانع يؤسسها ، أو مدارس يفتتحها ، أو ملاجىء ينشئها ، وألا يكون المال قد أطغاه ، وختم على قلبه فأعماه !

ولم يكن رجائي إلا كرجاء الذي أراد أن يشم الريحانة فألفاها ذابلة ، فما رضخت يده خيراً ، ولا اصطنعت معروفاً ، ولا كسبت معدوماً ، ولا أعانت في نائبة ، ولا ساعدت في خطب ، وإنما نثرت المال على الهوى يمنة ويسرة ، وفي الشهوة عيشاً وبكرة ، حتى عادت صفراء خالية ، وباتت على إسرافها باكية ...

* * *

أبطره الغنى فملمه العجب ، وأفسده الفراغ فخبب إليه الطيش فأصبح سكران لا يصحو ، هيمان لا يعي ، « غفلان لا يفيق »(١) ، وأضحى لا يحفل في الناس أحداً ، ولا يقيم لكبير وزناً ، ولا يرعى لصغير حرمة ، ولا يرقب في ضعيف إلا ولا ذمة ، وإنما كان ينظر إلى الجميع نظارة الفيل إلى البعوض أو الجمل إلى النمل ، «لايحس منهم من أحد ولايسمع لهم ركزاً»

ومنذ ذلك الحين أمسى أهل بلدنا إذا أرادوا أن يصفوا الرجل الشهوان الذي ما ينفك يوبق جسده برغائبه ، ويدسي نفسه بمعايبه ، قالوا وهم يتخافتون : أهو أشد من فلان شهوة ، وأكثر منه جهالة وصبوة ؟ !

وأنى لهم السكوت على مآثمه التي جرها عليه بذخه وسرفه ، ولهوه وعبثه ، وإنه لم يكتف ببنات الهوى يركبهن سيارته الفخمة ، وينتقل بهن في شوارع البلدة المحافظة تحت الأسماع والأبصار ، ولم يقنع بالخمرة يتهالك على شربها آناء الليل وأطراف النهار ، ولا بالموائد الخضر يرودها غير ملول ، ولا بالليالي الحمر يواصلها غير خجول ، ولا بداره التي استحالت ندياً للأشرار ، ولابشقاقه مع الأبرار والفجار ، وإنما راح يكلل جميع ذلك بشرفه يدوس عليه ، وبعرضه يفرط به ، وبدينه يقصر فيه ، وبوطنه يحقره ، حتى أضحى شعور الناس لا يأتلف إلا على مقته ، وباتوا من كرههم له يديرون في أفواههم ألسنة حداداً تلمنه ، وينظرون صيحة القدر الراصد تأخذه وهو يعمه في طغيانه ، ويتباهى بعدوانه ...

* * *

ولم يطل املاء الله له واستدراجه ، فما مضى عام واحد على طيشة ولهوه حتى خر من سقفه المرفوع ، وتهاوت من شجرته الجذوع والفروع ، وغدت جنته الفينانة ذابلة الورود ، ميتة الأعشاب ، ساكتة البلابل «فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها

(١) جمع . (٢) الميناء أسكلة على شاطىء البحر في مدينتنا طرابلس الشام .

(١) أذكر أني رأيت لأستاذنا الزيات مثل هذا التعبير .

الشعر فى السودان

للأستاذ على العمارى

(تتمة ما نشر فى العدد ٧٨٧)

يقول الدكتور زكى مبارك فى تقدمته لديوان الشاعر السودانى التيجانى يوسف بشير : « فما فى بلاد الله مسلمون أصدق من مسلمى السودان ، والإسلام قوة روحية سامية لا يمن الله بصفائها على غير المصطفين من عباده الأصفياء . يضاف إلى ذلك أنه عند السودانيين فضيلتين جوهريتين : فضيلة الكرامة ، وفضيلة العدل ، وتتمثل الأولى فى اعتزازهم بأنفسهم اعتزازاً هو الغاية فى شرف النفس ، أما الفضيلة الثانية فتتمثل فى صدق المعاملات ؛ فمن النادر جداً أن يحتاج من يعامل تجارهم الكبار إلى الاستعانة بالقضاء » . ثم يقول : « المسجد فى السودان هو المسجد ، ورواده هم المؤمنون ، ومسلمو السودان هم البقية الصالحة من رواد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل هذا أغنامهم الله بالمعانى ، وأنزلهم منازل الكرماء » .

وأنا أعرف أن الدكتور زكى لم يهبط أرض السودان ، ولم يمتع نظره ومسامعه بمظاهر التدين عند مسلمى السودان ، وإنى محدثه — لو كان يسمع الآن ويقرأ — حديث الخبير ، فما راءٍ كمن سمع :

التدين فى البلاد السودانية ظاهرة واضحة بارزة تراها فى كل ما تقع عليه عيناك ، فالأمانة الطبيعية غير المتكلفة ، والأمن فى الأنفس والأموال ، وهذه الصلوات الخمس التى تقام جماعات فى أوقاتها ، فى الأسواق العامة ، وأمام حوانيت التجار ، وكم ملأنى غبطة وإعجاباً منظر المصلين فى ساحة المحطة الوسطى بأم درمان ، أو أمام حوانيتهم ، يؤمهم أحد التجار ، وهم بملابسهم البيض النقية خاشعين خاضعين لله ، ثم الكرم الذى لا حد له ، والإجلال لعلماء الدين ... كل هذه مظاهر محببة للتدين العميق فى نفوس القوم

ويظهر هذا التدين بصورة واضحة فى شغف السودانيين بالمدائح النبوية ، فهى أناشيدهم يترنم بها عالمهم وجاهلهم ، ويستمعون إليها ، ويستمتعون بها ، وربما كان من المألوف إذا دعيت إلى

وهى خاوية على عروشها ويقول : يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً »

وصار الناس منه على شماتة الحاقدين ، فما أدركت الشفقة عليه أحداً سواى — لا لأنى أقرب رحماً ، ولا لأنى ألين قلباً — وإنما لشعور عنيف تملكنى يومئذ وأخذ يهتف بى بلا انقطاع :

إن هذا لضحية ! ولكن ويح نفسى إن بك مثل هذا الشهوان ضحية ، فمن الجزار الذى ضحاه ، وأين الساطور الذى ذبحه ؟

وما عرفت الجواب إلا حين جمعتنى بهذا المخلوق صلاة الجماعة فرأيته يدخل أول الناس ويبقى فى تضرع واستغفار آخر الناس ، فراعنى مظهره وعجبت له فدنوت منه وقد استبد بى الفضول ، ولم يحوجنى هو إلى مقدمة لا تجدى فقد فهم غرضى فالتفت إلى وكأنما شعر بحوى بالاطمئنان وحدثنى وهو يشرق بالدمع حديثاً كشف غنى الغطاء ، فصار بصرى فيه حديداً ، وحكمى عليه سديداً .

***

وقلت لصاحبى وأنا أصف له الرجل :

— « إنه لضحية يا صاح ، بيد أنه ضحية نفسه وهواه ، فنفسه كانت جزاره الذى ضحاه ، وهواه كان ساطوره الذى ذبحه ، فهو فى أيام فقره وبؤسه كان قانعاً قناعة المحروم ، وفى أيام غناه وسعده كان بطراً بطر النهوم ، وهو لولا استغناؤه لما طغى ، ولولا تخمته لما ثارت شهواته فبغى !

وهكذا الإنسان يا صاحبى يقوده الطمع فيردى ، وتعميه الشهوة فيخزى ، ويسمع بالعبرة فلا يخشى » !

***

ولكن هذا الرجل وعدنى فى بيت الله وهو ما زال عبران أن يتوب ، ولست ارتاب لحظة فى أنه قد أناب ولكنى أتساءل ما تنفع التوبة إذا لم تكن إلا فى ساعات الحاجة والحرمان ؟

(طرابلس الشام) **صبحى إبراهيم الصالح**

ولمية أن يكون من تتمة الإكرام أن تسمع (مديحاً) . والداحون منهم المحترفون ، وهؤلاء يدعون فى المجتمعات العامة وفى المناسبات الدينية ، كليلة الإسراء ، أو ليلة القدر ، وكثير من البيوت — هنا — تحيى ليالى رمضان بالمديح ، ومنهم من دفعته رغبة شخصية ، وآنس من نفسه جمالاً فى الصوت ، وقدرة على التنغيم والتلحين ، وهؤلاء — يمدحون — غالباً فى المجالس الخاصة . والمدائح — فى أكثر الأحايين — بالشعر الذى قيل فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمداحون يعتمدون اعتماداً كبيراً على (المجموعة النبهانية) كما يعتمد أهل الحلات والبوادى على أشعار عامية هى غاية فى جودة المعنى ، وحسن الأداء ، ولها تأثير قوى ، يهز المشاعر ، ويحرك العواطف ، وأشهر هذه المجموعات (ديوان أبى شريعة) ، ولهذا الديوان ميزة أخرى ، ذلك أنه وثيقة هامة لمن يريد أن يدرس اللهجات العامية فى السودان ، ونصيحتى لكل من يريد أن يعالج هذا البحث أن يدرس هذا الديوان ، وأن يدرس (طبقات ودْ ضيف الله) فإن فيهما غناء أى غناء فى هذه الناحية .

ولا يفوتنى أن أذكر أن المداحين المحدثين قد أخذوا ينحرفون عن إنشاد المدائح النبوية ، ولكنهم لم ينحرفوا كثيراً ، فهم يتغنون بالقصائد التى تتصل بالعروبة والإسلام ، كأندلسية شوقى ، ورثاء حافظ للشيخ محمد عبده ، ووقفة على طلل لغنيم ، وإن كنت سمعت فى أيام العيد مداحاً يتغنى بقصيدة المتنبى (من للجآذر فى زى الرعابيب) . وقد — والله — أجادَ ، لكنه ساءنى جداً حين طلبت إليه أن يسمعنا مدحة نبوية ، فقال إنه لا يحفظ من هذا النوع شيئاً .

ذكرت هذا كله لأمهد به للحديث عن غرض من أغراض الشعر فى السودان ، هو غرض غالب ذائع ، ذلك هو المدائح النبوية ، وإذا كنت فى مقالى السابق قد وصفت الشعراء بالتقليد للشعر القديم ، فإنى أقرر هنا أنهم أصلاء فى هذا الغرض ، وإن كل ما قالوه من شعر فيه ، فهو استجابة لعواطفهم الدينية ، واستجابة لبيئاتهم التى أسلفت الحديث عن مظاهر تدينها ، ولم أقرأ لشاعر هنا لم يجعل أكثر شعره فى المدائح ، وإن منها لشعراء نظموا دواوين كاملة فى هذا الغرض كديوان (روض الصفا فى مدح المصطفى) للعالم الكبير الشيخ أبى القاسم .

ولم يفت الشعراء أن يتحدثوا عن تدينهم ، واعتصامهم بالله ، وبعدهم عن طرق الغواية والهوى ، وحبهم فى مديح الرسول ، وارتياحهم له ، يقول الشيخ الطيب أحمد هاشم :

إن سار غيرى للهوان وللهوى … فإلى العلا والمكرمات أسير
أو سامر الناس الحسان جهالة … فسميرى القرآن والتفسير

ويقول الشيخ على الشامى :

إن طال ليلى فطول الليل يؤنسنى … إن كان غيرى طول الليل يضجره
فإن لى فى ظلام الليل مأثرة … هى الصلاة إلى المولى فتقصره

ويقول الشيخ مجذوب جلال الدين[1] :

إنى لمن معشر كانت شمائلهم … محبة المصطفى فى السر والعلن
يلين قلبى لذكراه إذا تليت … ويقشعر إذا ما رتلت بدنى

كما لم يفتهم أن يتحدثوا عن زهدهم فى الدنيا ، ورضاهم فيها بالقليل ، وحثهم الناس على القناعة ، والبعد عن سفاسف الأمور وصغائرها ؛ وهذا شاعر قديم عاش فى السودان منذ قرنين من الزمن هو الشيخ فرح تكتوك ، يقول صاحب (شعراء السودان)[1] فى ترجمته : « هو ولى صالح ، وشيخ من الشيوخ الثقاة وشاعر من كبار الشعراء ، له من صفاء سيرته وسريرته ما يشهد بصلاحه وتقواه ، وهو من قبيلة عرب البطاحين المشهورة فى السودان ، له فى الحكم آيات بينات ، وقصائده كلها فى الوعظ والإرشاد ، قلما ينظم فى موضوع آخر إلا ما دعت إليه الضرورة » . ومن شعره :

يا واقفاً عند أبواب السلاطين … ارفق بنفسك من هم وتحزين
إن كنت تطلب عزاً لا فناء له … فلا تقف عند أبواب السلاطين
واعلم بأن الذى ترجو شفاعته … من البرية مسكين ابن مسكين
خل الملوك بدنياهم وما جمعوا … وقم بدينك من فرض ومسنون

---

(١) هو حفيد الولى المشهور بالدامر ، وهو شاعر رقيق ، وهو يرجع سبب نبوغه فى الشعر إلى أساتذته المصريين ، ويتحدث عنهم فى كل مناسبة ، ويشيد بفضلهم ، ولا سيما الشيخ عبد الرءوف سلام .

(٢) مجموعة وضعها الأستاذ سعد ميخائيل ، تذكاراً لإقامته فى السودان ، واعترافاً بالجميل ، وبالأخلاق الكريمة التى نعم بها أثناء إقامته فى السودان ، وقد ترجم فيها لكثير من شعراء السودان ، وحلاها بصورهم ، وذكر مختارات من أشعارهم .

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما … استغنى الملوك بدنياهم عن الدين
مالى أذل لمخلوق وأسأله … ولو سألت الذى أعطاه يعطينى
فلقمة من طعام البر تشبعنى … وجرعة من قليل الماء ترويني
وقطعة من قليل الثوب تسترنى … إن مت تكفننى أو عشت تكسونى

وقد تناولت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكثر القصص التى ذكرت فى السير ، كما تناولت تمجيده وتمجيد أصحابه رضوان الله عليهم ، وتتزاحم علينا الأشعار حين نريد أن نختار منها فلنكتف بقليل من كثير .

تناول الشاعران عبد الله حسن الكردى ، وجلال مجذوب قصيدة الإمام البرعى التى مطلعها :

خل الغرام لصب دمعه دمه … حيران توجده الذكرى وتعدمه

خمساها تخميسين أعجبانى غاية الإعجاب ، وبهذه المناسبة أقول أن التخميس والتشطير من الأمور الشائعة فى الشعر السودانى ، فمن تخميس الشيخ المجذوب :

يا من تطاول فى وصل تنعمه … ونام ملء جفون العين نومه
أهنأ فما أنت صب القلب مغرمه … (خل الغرام لصب دمعه دمه
حيران توجده الذكرى وتعدمه)
شتان بين سمير الليل ساهره … ونائم غط من بدء لآخره
أتعذل الصب يشكو بُعد هاجره … (عذلته حين لم تنظر بناظره
ولا علمت الذى فى الحب يعلمه)

وينتهى من هذا الغزل إلى المديح فيقول :

لا تستوى فى المدى الأنوار والظلم
ولا السميع كمن فى أذنه صمم
أنام المجتبى شمساً وعنه عموا … (حال السها غير حال البدر لو علموا
بل أهل مكة فى طغيانهم عمهوا)
يا ضيعة العمر يا عظمى خسارته … إن لم أشد رحالى نحو دارته
يا كل موصى وفى فى سفارته … كم أستنيب رفاقى فى زيارته
عنى ، وما كل صب القلب مغرمه)

ويقول الكردى :

أهوى النبى وأرجو من كرامته … خيراً ، وأطمع فى عقبى شفاعته
ومن صبابة قلبى فى مقامته … (كم أستنيب رفاقى فى زيارته
عنى ، ، وما كل صب القلب مغرمه)

ويتصل بهذه المدائح شعر كثير فى ذكرى المولد النبوى ، وفى ذكرى الهجرة ، وفى ذكرى غزوة بدر ، وفى المناسبات الإسلامية المختلفة ، وليس أدل على سيادة هذا الغرض وقوته ، من أن شعراء غير مسلمين يقولون فى الأغراض الإسلامية ، ومن ذلك قصيدة الشاعر صالح أفندى بطرس فى الحث على العناية بجامع أم درمان ، ومنها :

يا مسجداً مطلت بنوه بمهده … حتى غدا وهو الحسير المعدم
بدأوك جوداً بالصنيع وأحجموا … ما كان أولى أن ذاك يتمم
بينا تشيد إذ وقفت كأنك الطـ … ـلل المحيل عفاه هام مرهم
أرى المساجد فى القديم تشاد فى … أبهى الشكول فمذهب ومرخم
وتراك تعجزهم بأن تبنى بآ … جر وتسقف (بالمروق) وتردم

علي العمارى
مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بأم درمان

عالم الغيب :

الجن فى منطق الأساطير

للشيخ محمد رجب البيومى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

أما العامل المادى فقد كان ذا أثر ملموس فى شيوع الخرافات حيث كانت البادية مورداً ثجاجاً لما انتشر على الألسنة من الأساطير وطالما وفد إليها المتندرون والمتظرفون ، يستملون ويستنبئون . وإن أحدهم ليصحب البدوى إلى حاضرته ليقص على أصحابه وذويه ما يتقنه من الترهات إزاء أجر ثمين ، وطبيعى أن يلجأ الأعرابى إلى الافتعال ، لتنفق بضاعته ، فتملأ حقيبته ، وهنا يطلق لخياله العنان فيزعم أنه رأى الشيطان مرة فاستضافه وأنشده الشعر ، ومرة أخرى لحاربه وصرعه ، وكلما كان البدوى شديد المبالغة فى حديثه كان أخف موقعاً فى القلوب ، وأسلس مقادة للعقول ، فاذا أخذ نصيبه المادى ورجع إلى خيمته عكف على إعمال الأباطيل ليكون على أتم استعداد إذا طلب مرة أخرى للسمر والاستمتاع ! !

ويجدر بنا أن نشير إلى ما شاع لدى العرب من تأثير الجن فى الأجسام ، فإذا مرض منهم مريض لجأوا إلى العرافين ومن بقى من ذوى الكهانات ، وهؤلاء لا يرعون فى الناس حرمة أو ذمة بل يجسدون الأوهام ، ويبلبلون الخواطر ، فيزعمون أن بالمريض مساً يجب أن يتدارك ، ويطلبون الأجور المرتفعة جزاء ما يقرءون من التعاويذ الكاذبة ، وما يصنعون من الرقى الباطلة . وقد يعشق البدوى فتاة تنتزع فؤاده من أضالعه ، وتخطف عقله من رأسه ، فيأتى به ذووه إلى العراف فيلجأ أيضاً إلى التمائم والتعاويذ ، وكأنه يرى مريض القلب لا يختلف عن مريض الجسم ، فيجعل الدواء واحداً لكلا الرجلين ، وقل فى الجهالة ما تشاء ! !

وقد يبالغ بعض العرافين فيزعم أن الجن تعشق الإنس عشقاً مبرحاً وأن الجنية تلاقى الصد والتيه ما يلقاه الإنسى ، فاذا تمكنت الصبوة من فؤادها ، سلب رشادها ، وتبددت قوتها ، فيمر بها قومها من الجن فيسألون عنها ، فيقال مسها إنسى كما يقال لمن صرع من الإنس مسه جنى ، والطبيب فى كلتا الحالتين هو العراف الأثيم ! !

ولا يترك الفقهاء هـذا الباب حتى يؤيدوه بمايعن لهم من الأدلة ، ونحن نعلم الخلاف العريض بين أهل السنة والمعتزلة فى الصرع والمس حيث قد ذهب الفريق الأول إلى حدوث ذلك ، وقد استشهدوا بحـديث رواه البخارى ، كما أجاز بعض الحنفية زواج الجنية من الإنسى ! ! قال الجاحظ « وزعموا أن التناكح والتـلاقح قد يقع بين الجن والإنس لقوله تعالى وشاركهم فى الأموال والأولاد ؛ وهذا ظاهر لأن الجنيات إنما تتعرض لصرع رجال الإنس على جهة العشق فى طلب السفاد ، وكذلك رجال الجن لنساء الإنس ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنسـاء للنساء . قال تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان ، ولو كان الجان لا يفتض الآدميات ولم يكن ذلك فى تركيبه ، لما قال الله تعالى ذلك القول »

وهـذا قول لا يدرى حقه من باطله ، وإلا فكيف نقول لمدنف عاشق يهوى فتاة معنية باسمها وصفتها إن به مسامن الجن ! ! ولماذا يزول المس إذا اقترن بمحبوبته الإنسية ؟ وأين الجنية المزعومة إذن ؟ كل هذا تدجيل صارخ فطن إليه من قال .

وقالوا به من أعين الجن نظرة ولو علموا قالوا به أعين الإنس
وكم فى الحياة من أكاذيب ! !

بقى أن نتحدث عن العومل الأخـلاقية ، وهى ذات الحظ الأوفر فى اختلاق الأساطير ، لأنها ترجع إلى عامل واحـد ، هو الافتخار بالمواهب ؛ وقد شاع لدى العرب أن الجن متقدمون عن الإنس فى كل شىء ، فهم مصدر الإلهام فى الشعر ، ومنبع الوحى فى البيان ، وهم أولو البأس فى القتال والصـيال ، وهم سلاطين الصحراء وأمراؤها ، يستأذنون فيأذنون ، ويأمرون فيطاعون . كل أولئك قد جعل أصحاب الزهو والخيلاء يزعمون أنهم يفوقون الجن فى مواهبهم ، ويزاحمونهم بمنكب ضخم فى مناقبهم ، وما من دليل سوى الأساطير المزعـومة يخلقها أولو الفخر الكاذب فيتناقلها الناس على ممر العصور ! !

فالشاعر مثلاً يرى أن منزلته لا تعظم فى قبيلة لا إذا زعم أن الجن تلهمه ومن ثم يتجه إلى وادى عبقر كل يوم حيث يصمد إليه

الوحي من الأرض ، بدل أن يهبط عليه من السماء ! ! ونحن ننظر فنجد ذا الرمة وأبا النجم ، ورؤبة والأعشى وغيرهم يدعـون أقرانهم من الشياطين ، هم ناظمو القصائد ومبدعو المعاني والأساليب ، وربما سمي الشاعر قرينه باسم معين ، وذهب يفتخر به في كل ناد ، كما قال الأعشى في قرينه « مسحل »

وما كنت شحذوذا ولـكن حسبتني
إذا مسحل يسـدى لي القول أعلق
شريـكان فيما بيننا من هوادة
صفيان ، إنسي وجن موفق

وصحائف الأدب ملئية بما يماثل ذلك ، وربما كان أصل هذه الفكرة لدى العرب أن شاعراً حسد زميله في إبداع ، فأدعى أن الشيطان هـو الذي يجري البيان على لسانه ، وفي جمهرة أشعار العرب أساطير تؤيد ما نقول ، ومن ذلك ما زعمه ابن المرزوي عن أبيه أنه مر على جماعة ظباء في سفح جبل ، فرأى شبحاً ذا منظر غريب فارتاع منه ، فقال له اذكر الله ولا تخف ثم سأله : أتروي من أشمار العرب شيئاً ؟ فقال المرزوي : نعم وأخذ يروي له شعر عبيد بن الأبرص ! ؟ فسأله الشيخ من قائل هذا الشعر ؟ ؟ فقال : عبيد ، فتهانف وقال : ومن عبيد ، لولا صاحبه هبيد ! ؟ ثم شاعت بهذه الخرافات فكرة الأخذ عن الجن فكان كل شاعر يأتي بعد ذلك يزعم أن له قريناً ، بل ربما ميز شيطانه بخصائص لا توجد في غيره ، كما زعم أبو النجم وشركاؤه . وأتى من الرواة من بسط الحبل على امتداده ، فقيض لـكل شاعر أعجبته الجاهلية شيطاناً فهوله قرين ، وإن لم يعترف به الشاعر نفسه ، فلافظ قرين امرئ القيس ، وهاذر صـاحب النابغة ، وجهنام شيطان عمرو بن قطن وغير هؤلاء لا يحصون ! !

هذا في الشعر والأدب ؛ أما الافتخار بالشجاعة فقد أورث العربية تركة مثقلة بالخرافات ، فـكل صعلوك يزهى ببسالته ، ويختال ببطشه ، يختلق من الأساطير ما يؤيد دعواه ، فيزعم أنه حارب الجن ، ولقي السعلاة فضربها بسيفه ، وامتطى الغول في البيداء ، وقد زعم صاحب الأغاني أن ثابت بن جابر لقي الغول في ليلة دامسة ، فأخذت عليه الطريق ، فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها ، فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه فقالوا له لقد تأبطت شراً ، فلقب بهذا القول وعرف به لدى الجميع .

ومهما يكن من شيء فإن تأبط شراً قد أكثر من الحديث عن الجن إكثاراً لم يتح لغيره . وكأنه رأى في انتصاره الموهوم على الغول ما يبرر له كل اختلاق ، فذكر في شعره محاورة قامت بينه وبين غول ضربها ضربة واحدة بسيفه ، فقالت له : ثن الضربة ، فأبى كيلا تعود لها الحياة إذا ضربت مرة ثانية حسب اعتقاده ، كما زعم أنه قابل وفداً من الجن فأشعل النار ونحر الذبائح ودعاهم إلى الطعام ، فذكروا أنهم يحسدون عليه الإنس فهم لا يأكلون كما نأكل ، اسمعه يقول من أبيات .

أتوا ناري فقلت منـون أنتم
فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
فقلت إلى الطعام فقال منهم
زعيم نحسـد الإنس الطعاما
لقـد فضلتمو بالأكل عنا
ولـكن ذاك يعقبكم سقاما

وقد ابتـلي تأبط شراً بمن كذب دعواه ، فزعم أنه نزل بشعب وادي الجن فرأى وجوها صباحاً وسما ، فنحر لهم مطيته ليأكلوا من طيباتها المشتهاة ، ذلك هو جذع بن سنان الغساني إذ يقول .

نزلت بشعب وادي الجن لما
رأيت الليـل قد نشر الجناحا
أتوني سافرين فقلت أهـلا
رأيت وجوهكم وسما صباحا
نحرت لهم وقلت ألا هلمو
كلوا مما طهيت لـكم سماحا

وقد لا يكتفي الصعلوك بأن يفخر بنفسه بل يتعدى ذلك إلى قبيلته ، فيزعم أنها حاربت الجن ، فانتصرت انتصاراً رفعها إلى ذروة عالية من المجد . قال أحد الأفاكين من بني سهم : ذهب جني يطوف بالبيت فعرض له شاب من بني سهم فقتله ، فثارت بمكة غبرة لم تبصر لها الجبال — وإنما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجن — فأصبح من بني سهم على فرشهم موتى كثير من قبل الجن ، فـكان فيهم سبعون سيخاموي الشباب ، فنهضت بنوسهم وحلفاؤها إلى الجبال والشعاب بالثنية ، فما تركوا حية ولا عقربا ولا خنفساء ، ولا شيئاً من الهوام يدب على الأرض إلا قتلوه وأقاموا على ذلك ثلاثا ، فسمع في الليلة الثالثة هاتف يهتف بصوت جهوري ، يا معشر قريش اعذرونا من بني سهم فقد قتلوا منا أضعاف من قتلنا منهم فأصلحوا ما بيننا ، ففعلت ذلك قريش ، وسميت بنوسهم « قتلة الجن » .

وكثير من مسطري هذه الأخبار — في القديم — من علا

بهـا الصحائف دون أن يلفت الأنظار إلى مبالغها من الافتراء وكأنه يرى من الأمانة العلمية أن يذكرها كما تلقفها من الأفواه ، أو نقلها عن الأسفار بدون تعليق يضع الحق فى نصابه ، بل لعله يتعصب لها تعصباً يترك القارىء فى شك من أمره ، ولـكن الحق لايعدم أنصاره فى كل زمان ومكان ، فـكما وجد جماعة من الفقهاء يتشيعون لهذه الأساطير ، فقد وجد منهم آخرون يفندونها أتم تفنيد ، قال ابن حزم عن الجن : « ومن ادعى أنه يراهم أو رآهم بالفعل فهو كاذب إلا أن يكون من الأنبياء » وقال أبو إسحاق المتـكلم فيما رواه عنه الجاحظ « وأصل هـذه الفـكرة أن القوم تأثروا بوحشة بلادهم ، ومن أقام بالصحراء منفرداً استوحش وابتلى بالوسوسة ، وتمثل له الشيء الصغير كبيراً ، فإذا اشتملت عليه الغيطان ، وسمع صياح بومة أو مجاوبة صدى ، تصور فى نفسه كل باطل . وربما كان أحدهم كذاباً فيأتى بشعر يزعم فيه أنه رأى الغيلان وكلمها ثم يتجاوز ذلك ، فيقول قتلتها ، ثم يتجاوز ذلك فيقول رافقتها وتزوجتها » ويستفيض حديثه بين الناس فتسيل به الأندية والمجتمعات » !

هل عرفتم مصرع حرب بن أمية ؟! فقد خرج فى نفر من قومه فاعترضتهم حية خبيثة فقتلها وكانت من الجن — فجاءت حية أخرى فطالبت بالثأر ، وقام بين الفريقين معركة طاحنة قتل فيها حرب ، ودفن حيث وافته منيته فقالت فيه الجن .

وقبر حرب بمـــكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر!

وهل علمتم أن سيد الخزرج سعد بن عبادة رضى الله عنه أصيب بسهمين قاتلين من الجن ففاضت روحه الـكريمة إلى بارئها العظيم ؟ ثم رثوه بعد ذلك بشعر نائح ! وهل سمعتم أن الغريض غنى بالبادية صوتاً مؤثراً فحسده الجن وقتلوه !؟ وهل تدرون أن أمية بن أبى الصلت تعرض ليهودية من الجن ، فبرص أعلاه واسود أسفله . هذا رذاذ من وابل هطال تتدفق به الأساطير !

إن فى هذه الخرافات لمتعة عجيبة ، وأخشى أن أدعو إلى تذوقها تذوقاً فنياً يكشف عن طرافتها الغريبة ، فأجد — فى القرن العشرين — من يميل إلى تصديقها من الناس ! ولم لا يكون ذلك والغباوة تسير مع الزمن فى خطوة السريع !

رحم الله أيام الطفولة ، فقد ملأت مخيلتى بآلاف مؤلمة من هذه النوادر ، وكنت أسمعها فى لذة ومتعة ، فأترنح من السرور كن مالت بقامته نشوة السلاف ! فأين مضى هذا العهد الحالم ، وكيف عصفت به ريح الزمان ! !

أقرأ على الوشل السلام وقل له   كل المشارب مذ هُجرت ذميم

(الكفر الجديد)   **محمد رجب البيومى**

المصادر الهامة للبحث

(١) روح المعانى للألوسى
(٢) السيرة الحلبية لعلى بن برهان الدين
(٣) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى
(٤) الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى
(٥) حياة الحيوان الـكبرى للدميرى
(٦) الحيوان للجاحظ
(٧) تاريخ الأدب الجاهلى لأستاذى الجليل محمد هاشم عطيه
(٨) قصص العرب للمرحوم جاد المولى بك
(٩) التصوف الاسلامى للدكتور زكى مبارك
(١٠) مقالات متفرقة فى الرسالة والمقتطف

الفتوة في اللغة وكتب الأدب

وحياة الفتيان في الجاهلية وعصور الاسلام

نقص قواميس اللغة العربية وقصورها عن تحرير المعاني

للأستاذ ضياء الدين الدخيلي

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

ولنقتطف من ديوان الحماسة اختيار أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وقد شرحه الشيخ أبو زكريا التبريزي الشهير بالخطيب وكان تلميذاً للمعري .

قال النابغة الجعدي (1) :

ألم تعلمي أني رزئت محارباً ... فما لك منه اليوم شيء ولا ليا
(فتى) كملت خيراته غير أنه ... جواد فما يبقى من المال باقيا

قال الخطيب في شرحه أنه يخاطب صاحبته أم محارب وقوله ألم تعلمي : ظاهره تقرير ، وإنما هو توجع وتلهف على ما فاته من المرثي محارب ابنه .

وقال ابن أهبان الفقعسي يرثي أخاه (3)

على مثل همام تشق جيوبها ... وتعلن بالنوح النساء الفواقد
(فتى الحي) إن تلقاه في الحي أو يرى ... سوى الحي أو ضم الرجال المشاهد
طويل نجاد السيف يصبح بطنه ... خميصاً وجاديه على الزاد حامد

قال الخطيب جادية الذي يجتديه ، ويطلب منه جمل الفتوة والرئاسة مسلمة له في كل حال وعلى كل وجه ألا ترى أنه قال هو الفتى بين رجال الحي وعند لقائك إياه فيهم وقوله أو يرى سوى الحي ، أي في مكان آخر وفي قوم آخرين بدلا من الحي وقوله أوضم الرجال المشاهد معناه وهو الفتى إذا حصلت وفود القبائل في مجامع الملوك وقال سلمة الجعفي يرثي أخا (4)

أقول لنفسي في الخلاء ألومها ... لك الويل ماهذا التجلد والصبر
ألم تعلمي أن لست ماعشت لاقيا ... أخي إذ أتى من دون أوصاله القبر

(1) ج ٣ ص ٥١ (2) ج ٣ ص ٥٣ (4) ج ٣ ص ٥٩

[فتى] كان يعطي السيف في الروع حقه ... إذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر
[فتى] كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

قال الخطيب ثوب الداعي أي دعا وأصل التثويب أن يكون الرجل في مفازة لا يهتدي بها فيلوح بثوبه فربما رآه إنسان فيهديه وينجيه ثم استعمل في غيره .

وقال سالم بن وابصة الأسدي (1)

أحب [الفتى] ينفي الفواحش سمعه ... كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطاً أذى ... ولا مانعاً خيراً ولا قائلا هجرا

وقال زياد بن حمل (2)

كم فيهم من (فتى) حلو شمائله ... جم الرماد إذا ما أخمد البرم

قال الخطيب كم للتكثير وموضعه رفع بالابتداء وخبره من فتى وجم الرماد كثيره ولا يكثر الرماد إلا لكثرة الغاشية والأضياف والبرم الذي لا يدخل مع القوم في الميسر (نوع من القمار) والمراد إذا أخمد البرم النار ابخله .

وقال العريان (3)

ورحت إلى دار امرىء الصدق حوله ... مرابط أفراس وملعب (فتيان)
ومنحر مئناث يجر حوارها ... وموضع إخوان إلى جنب إخوان

قال الخطيب : وملعب فتيان ، لأنهم يجتمعون عنده لسخائه وقوله : يجر حوارها ، لأنها تجزر وهو في بطنها فيجره من بطنها وروى في الحماسة (4) ولم يذكر قائلهما :

وليس (فتى الفتيان) من جل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق
ولكن (فتى الفتيان) من راح أو غدا ... لضر عدو أو لنفع صديق

وقد اعترض علينا الأستاذ محمد عبد القادر ، حيث أننا لم نذكر القائل وقد استشهدنا بالبيت الثاني أخذناه من تاج العروس ولم يذكر قائل البيتين في ديوان الحماسة إلا أن الخطيب التبريزي في شرحه بعد أن قال الصبوح شرب الغداة والغبوق شرب الحمرة في العشى . روى الأصمعي أن أكثم بن صيفي قال : اصحب من

(1) ج ٣ ص ٨٠ من حماسة أبي تمام (2) ج ٣ ص ١٨٢
(3) ج ٤ ص ٨٤ (4) ج ٤ ص ١٠١

الإخوان من إن صحبته زانك ، وإن خدمته صانك ، وإن اختلت عانك ، إن رأى منك حسنةً جازاكَ عليها ، أو سقطة أغضى لك عنها ، لا تختلف عليك طرائقه ، ولا تخشى بوائقه .
ثم أنشد البيتين : وليس فتى الفتيان الخ . ومن هذا يتبين قدمهما وصحة الاستشهاد بهما .

وقال أبو كبير الهذلي (عويمر بن حليس أحد بنى سعد بن هذيل) (١)

ولقد سريت على الظلام بِمغشَم ... جَـلْدٍ من (الفتيان) غير مُثقل

قال : سرى وأسرى بمعنى واحد ، وعلى الظلام : أى فى الظلام ويجوز أن يكون وعلى الظلام فى موضع الحال أى وأنا على الظلام أى راكب له ، والمِغشَم من الغشم : وهو الظلم ، فإن قيل إذا كان السرى لا يكون إلا ليلا ، فلم قال على الظلام ، ولم جاء فى القرآن الذى أسرى بعبده ليلا ؟ قيل المراد توسط الليل والدخول فى معظمه ، والجلد : الصلب القوى . وقوله غير مُثقل : أى كان حسن القبول محبباً إلى القلوب ، قال ، وقال أبو رياش (المغشم) الذى يغشم الأمور ويخلطها من غير تمييز ، وقيل المغشم ههنا : من إذا اختفى عليه الطريق اعتسف أى ركب الطريق على غير هداية ولا دراية .

وروى فى الحماسة لامرأة من طيء (٢)

دعا دعوة يوم الشرى يا لمالك ... ومن لا يُجَبْ عندالحفيظة يكلم
فيا ضيعة (الفتيان) إذ يعتلونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المسدَّم

(الشرى مكان ، والحفيظة الغضب أى استغاث هذا الرجل بهذا الموضع فلم يجب ، وقولها يكلم : كناية عن الغلبة والقتل ، والعتل : القود بعنف ، يقال عتله يعتله ، ويا ضيعة الفتيان : لفظه لفظ النداء ومعناه الخبر كأنها قالت ضاع الفتيان جداً إذ كان أعداؤه يمنعون فى قودهم إياه وهو كأنه فحل مشدود الفم خوفاً من صياله ، والفنيق : الفحل ، والمسدَّم : المشدود الفم الهائج الممنوع ، وإنما يفعل به ذلك إذا هاج خوفاً من عضاضه .

وقال جابر بن ثعلب الطائى (٣) :

وقام إلى العاذلات يلمننى ... يقلن ألا تنفك ترحل مرحلا؟
فإن (الفتى) ذا الحزم رام بنفسه ... جواشن هذا الليل كى يتمولا
وتزوى بعقل المرء قلة ماله ... وإن كان أسرى من رجال وأحولا

(أى لا تزال ترحل ارتحالا ومرحلا انتصب على المصدر وجواشن الليل صدوره وأوائله وأحواله أكثر حيلة) .

وقال أبو النشناش (١) :

فللموت خير للفتى من قعوده ... عديماً ومن مولى تدب عقاربه

(أى الموت خير للرجل من قعوده راضياً بفقره وبإفضال مولى يؤذيه بالمن ، ودبيب العقارب : كناية عن الأذى وانتصب عديماً على الحال .

وقال آخر :

إذا القوم قالوا من فتى لعظيمة؟ ... فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

فهذه النصوص الأدبية أظن أن فيها الكفاية لمن ارتاب فى دلالة فتى على الشهامة والفروسية ، ونود أن ننبه القارىء الكريم إلى أن الفتوة فى العصر العباسى كانت تطلق على اجتماع بعض المياسير على اللهو واللذات تجمعهم الملاهى والعبث والترف والسماع ، فقد وصف عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع حال الفتيان الذى كان يعاشرهم فقال (٢) :

فى فتية بذلوا فى القصف ما ملكوا ... وأنفقوا فى التصابى العرض والنشبا

وجاء فى (نهاية الأرب) فيمن شرب الخمر واشتهر بها ، (ومنهم والبة بن الحباب الأسدى وهو الذى ربى أبا نواس وعلمه الفتوة وقول الشعر) ويفسر لنا أبو نؤاس تلك الفتوة التى درسها على والبة بقوله :

ما استكمل اللذات إلا فتى ... يشرب والمرد ندماه
هـذا يغنيه وهـذا إذا ... ناوله القهوة حياه

وقوله :

متيم القلب ممناه ... جادت بماء الشوق عيناه
إن كان أبكاك الهوى مرة ... فطالما أضحكك الله
لا خير فى العاشق إلا فتى ... لاطف مولاه وداراه
ودافع الهجر وأيامه ... فالوصل لاشك قصاراه —
— (أى غايته)

(١) ج ١ ص ٤٢
(٢) ج ص ١١٣ من شرح حماسة أبى تمام للتبريزى طبعة بولاق
(٣) ج ١ ص ١٦١

(١) ج ١ ص ١٦٧
(٢) معجم البلدان ج ٤ ص ١٦٥

وروى النواجى فى حلبة الكميت أن أبا الهندى كان منهمكا فى الخمر مغرماً بالشرب ، ودخل حانة خمار فشرب عنده إلى أن غلب عليه السكر فنام ، ودخل جماعة (فتيان) فرأوه على تلك الحالة فقالوا للخمار ما حال هذا ؟ قال طيب العيش قالوا فألحقنا به فسقاهم حتى انتهوا إلى حاله فانتبه أبو الهندى فرآهم فقال للخمار ما حال هؤلاء ؟ فقال مبسوطون ، قال فالحقنى بهم ، فسقاه حتى لحق بهم ، وانتبهوا فقالوا مثل ذلك إلى أن مضت عليهم عشرة أيام ولم يلتق بعضهم ببعض ثم أنشد أبو الهندى :

ندامى بعد عاشرة تلاقوا — تضمهم (الفتوة) والسماح
نقيم معاً وليس لنا تلاق — بيت ما لنا منه براح

وجاء فى الأغانى[1] (وبعد وفاته كان الفتيان يجيئون إلى قبره ويصبون القدح إذا انتهى إليه على قبره) وجاء فى مسالك الأبصار عن حانة عون (أن عوناً كان ظريفاً طيب الشراب نظيف الثياب وكان فتيان الكوفة يشربون فى حانوته ولا يختارون عليه أحداً)

وجاء فى حلبة الكميت قال السرى الرفا الموصلى :

وفتية زهر الآداب بينهم — أبهى وأبهج من زهر الرياحين
مشوا إلى الراح مشى الرخ فانصرفوا — يمشون من شربها مشى الفرازين

(فى المنجد الرخ طائر وهى كبير وأيضاً قطعة من قطع الشطرنج الجمع رخاخ ورخخة : وفرازين جمع فرزان وهى الملكة فى لعب الشطرنج)

ويبدو أن الفتوة فى النصوص الأخيرة لم تستعمل فى المعانى التى استعملت فيها إشعار الحماسة وغيرها التى تقدمت ، وإنما استعملت فى معنى الانغماس فى اللهو والسكر والسماع ، وقد نسب الثعالبى فى كتابه (الخاص للخاص) بيتين للأعشى أورد فيهما (فتى) فى ذلك المعنى فقال :

وكأس شربت على لذة — وأخرى تداويت منها بها
لكى يعلم الناس أنى (فتى) — أتيت المروءة من بابها

وقد أكثر فى الأغانى استعمال الفتوة فى هذا المعنى فقد جاء فى الجزء السابع[2] وكان الوليد بن يزيد من (فتيان بنى أمية) وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ، وكان فاسقاً خليعاً متهماً فى دينه مرمياً بالزندقة وشاع فى أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل .

(١) ج ٢ س ١٧٩ (٢) ج ٥ س ٧٧

وعن الوليد أيضاً أنه أبلغه أن جماعة من بنى مروان يعيبونه بالشراب فلامهم وقال أنهم ليعيبون على ما لو كانت لهم فيه لذة ما تركوه وقال هذا الشعر وأمر عمر الوادى أن يغنى فيه وهو من جيد شعره ومختاره :

ولقد قضيت وأن تجلل لمتى — شيب — على رغم العدا لذاتى
من كاعبات كالدمى ومناصف — ومراكب للصيد والنشوات
فى (فتية) تأبى الهوان وجوههم — شم الأنوف جحاجح سادات
أن يطلبوا بتراثهم يعطوا بها — أو يطلبوا لا يدركوا بتراث

وفيه[1] كان المذلى النقاش يغدو إليه (فتيان قريش) وقد عمل عمله بالليل ومعهم الطعام والشراب والدراهم فيقولون غننا الخ وقد قال فيه[2] فى التعريف بالمذلى هذا أنه سعيد بن مسعود كان ينقش الحجارة بأبى قبيس (جبل فى الحجاز) وكان فتيان من قريش يروحون إليه كل عشية فيأتون بطحاء يقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها ويأتيهم فيغنى لهم ويكون معهم .

وفى الأغانى[3] أن وضاحاً هوى امرأة يقال لها روضة ، فذهبت به كل مذهب وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها وعاتبه أهله وعشيرته فقال فى ذلك :

يا أيها القلب بعض ما تجد — قد يعيش المرء ثم يتشد
قد يكتم المرء حبه حقباً — وهو عميد وقلبه كمد
ماذا تريدين من (فتى غزل) — قد شفه السقم فيك والسهد ؟

حدث الأصمعى عن الخليل بن أحمد أن وضاحاً كان يهوى امرأة من كندة يقال لها روضة .

وجاء فى الأغانى[4] عن اسحاق بن ابراهيم الموصلى عن أبيه قال : دخلت الرى فكنت آلف (فتياناً) من أهل النعم وهم لا يعرفوننى فطال ذلك على إلى أن دعانى أحدهم ليلة إلى منزله فبت عنده فأخرج جارية له ومد لها ستارة فتغنت خلفها فرأيتها صالحة الأداء كثيرة الرواية فشوقتنى إلى العراق وذكرتنى أيامى بها فدعوت بعود فلما جىء به اندفعت فغنيت صوتى فى شعرى .

(١) ج ٥ س ٦٧ (٢) ج ٥ س ٦٥
(٣) ج ٦ س ٢١٢ (٤) ج ٥ س ١٨٨

أنـــا بالرى مقيم فى قــرى الرى أهيم

وقد كنت صنعت هـذا اللحن قديماً بالرى فخرجت الجارية من وراء الستارة مبادرة إلى فأكبت على رأسى وقالت أستاذى والله فقال لها مولاها أى أستاذيك هذا ؟ قالت ابراهيم الموصلى فاذا هى إحدى الجوارى اللاتى أخذن عنى وطال العهد بها فأكرمنى مولاها وبرنى وخلع على فأقمت مدة بعد ذلك بالرى وانتشر خبرى بها ثم كتب بحملى إلى والى البلد فأشخصت .

فترى أن كلمة (فتيان) قد استعملت فى العصر العباسى وأريد بها إخوان الطرب الذين جمعتهم العشرة على موائد اللذات فهؤلاء الفتيان الذين تعطينا القصص صورة مصغرة لحياتهم فى العصر العباسى كانوا إخوان لهو وسكر وعربدة وهذا ما يحدد حياة الفتوة فى ذلك العصر المترف كما توضح معالمها هذه القصص المنشورة فى مجلدات الأغانى وغيرها من كتب الأدب وإليك صورة أخرى لحيـاة الفتوة الخليعة فى العصر الأموى ، جاء فى الأغانى (١) فى أخبار الدلال أنه من ظرفاء المدينة فى العصر الأموى وكان جميلا حسن البيـان ، ومن أحضر الناس جواباً وأحجهم . وكان سـليمان بن عبد الملك قد رق له حين خصى غلطاً قال وأن الدلال خرج يوماً مع (فتية من قريش) فى نزهة لهم وكان معهم غلام جميل الوجه فأعجبه وعلم القوم بذلك فقالوا قد ظفر نابه بقية يومنا ، وكان لا يصبر فى مجلس حتى ينقضى وينصرف عنه استثقالا لمحادثة الرجال ومحبة في محادثة النسـاء فغمزوا الغلام عليه وفطن لذلك فغضب وقام لينصرف فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس وكان معهم شراب فشربوا وسقوه وحملوا عليه لئلا يبرح ثم سألوه أن يغنيهم فغناهم فاستطير القوم فرحاً وسروراً وعلا نعيرهم فنذر بهم (علم) السلطان وتمادت الأشراط (تمادت من العـدو وهو سرعة الجرى) فأحسوا بالطلب فهربوا وبقى الغلام والدلال وما يطيقان براحاً من السكر فأخذا فأتى بهما أمير المدينة الخ فترى حياة هؤلاء الفتيان حياة تحلل من قيود العرف وتهرب من أحكام الشرائع الأدبية المتعارفة فى عصرهم وهـذا نموذج لحياة الفتوة فى العصر الأموى وإذا تراجعنا للعصر الجاهلى فإن طرفة يحدثنا عن فتوته فى معلقته والأعشى فى بيتيه المتقدمين وتجد الفتوة إذاك مزيجاً من الطرب والأنس والفروسية والنجدة وقد تكون نجدة وشهامة ورجولة كاملة لا غير كما فى أشعار الحماسة التى أوردنا .

ومن هذا ترى أن الفتوة قد اختلف الناس باختلاف العصور والأزمان والبلدان — فى فهم معناها ولولا ضيق الوقت لأتينا على عرض تاريخى مفصل للفتوة فى الجاهلية وعصور الإسلام . إذ اقتصر حديثنا هذا على استعراض ما عثرنا عليه من النصوص الأدبية الموثوق بها لإثبات دعوانا السابقة من دلالة الفتوة على الشهامة والفروسية والنبل وكمال خصائص الرجولة ، وعسى أن ننال ثقة الناقد الكريم وهل ندرى هل يزيف شواهدنا أيضاً ؟ أم يغضى على مضض وفى العين قذى وفى الحلق شجا : الحق أن معنى (فتى) قد تجلى ولا غبار بعد اليوم عليه ، وقد وضح الصبح لذى عينين والذى استهدفته من إطالة الحديث إعطاء القراء مثلا محسوساً لنقص كتب اللغة وعدم شرحها معانى المفردات كما هى إذ قد رأيت فى مقالى الأسبق فى العدد (٧٨٢) أنها أجمعت على تفسير كلمة فتى بالرجل الكريم السخى ولم تلوح كلها أو جلها إلى ما تضمنته الـكلمة من معانى الجلد والفروسية والنجدة والبطولة واستكمال مزايا الرجولة وصفات الشهامة فى حين أن النصوص الموثوق بها والتى وضعتها بين يديك تصرح فى تكذيب قواميس اللغـة ، وبأنها سطحية لا تمنح الألفاظ إلا لمحة الطـائر وفطنة العجلان)

ضياء الدخيلي

(١) ج ٤ ص ٢٨٢

أوراق مطوية :

كل شيء إلى زوال

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

كل شيء إلى زوال فاسقني خمرة الجمال
لا تكلني إلى غد إنه في دجى خيال
أنا لو كنت خالداً ما تعجلتك الوصال
هل ترى الصبر نافعاً لمقيم على ارتحال ؟
إنما العمر خطوة كخطا الريح في الرمال
فاسقني خمرة الجمال كل شيء إلى زوال !

أترى ذلك الضياء رائع السحر والبهاء ؟
يملأ القلب فرحة ونزوعاً إلى السماء
ويوافيه بالمنى وبأحلامه الوضاء
ويغني فتبعث الطير له أعذب الغناء
سوف يمضي كما أتى حينما يقبل المساء !
فاسقني خمرة الجمال كل شيء إلى زوال !

أترى ذلك المساء رائع الصمت والخفاء !
يملأ النفس رهبة دونها رهبة الفناء
فهو بحر بلا ضفا ف ، وأفق بلا انتهاء
وهو نوم وراحة وهو سهد على بكاء
سوف يمضي كما أتى حينما يقبل الضياء
فاسقني خمرة الجمال كل شيء إلى زوال !

والربيع الذي تراه يتهادى على رباه
فتغني به الدنى وتغني له الحياه
سوف يمضي كأنه أرج الزهر أو نداه
فإذا الزهر ذابل من بكاء على شذاه
وإذا النهر غائر بعد ما فاض شاطئاه
فاسقني خمرة الجمال كل شيء إلى زوال !

والشباب الذي يطيب نفح ريحانه الرطيب
وترى حوله المنى كفراش على لهيب
سوف يمضي مشيعاً كل ما فيه بالنحيب
ثم يأتي بيأسه وبأحزانه المشيب
فإذا العمر وحشة دونها وحشة الغريب
فاسقني خمرة الجمال كل شيء إلى زوال !

سوف أحيا مع الشباب بين أحلامه العذاب
فإذا الجسم في الثرى وإذا الروح في السحاب
وإذا بي مع الهوى كأغان على رباب
أبصر النور في الدجى وأرى الماء في السراب
إنما الحب ساحر يبدع الروض في اليباب
فإذا أقبل الردى ثائر الهول كالعباب
قلت يا نفس اهدئي ليس يجديك الاضطراب
إنما العمر رحلة بعدها يحمد المآب
فاهدئي ذلك المآل كل شيء إلى زوال !

إبراهيم محمد نجا

من وحي البحر :

السمكة الصغيرة

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

قذفتك الأمواج يا طفلة البحر إلى شاطئ عديم الوفاء
لن تصيبي عليه زاداً إذا ما جعت ... أو تظفري لديه بماء
لن ترى أي راحم فيه يرعى أو تذوقي غير الأسى والشقاء
نحن في عالم التطاحن والحر ب ودنيا تعج بالبغضاء

لفظتك الأمواج يا دمية البحر ولم تبلغي حياة الشباب
وتركت العباب وهو متاع ومراح للخرد الأتراب
لكأني بهن يبكين أختاً لم تمتع بالعيش غض الإهاب

قهر البحر حسنها ورماها   فاستكانت لموجه الغلاب

أمسكتها يداى وهى على الشط   تلوى ... تشكو لديه الجحودا
فتجلي للعين منهـا جمال   يتهادى : لوناً وحسناً فريدا
وبدت صورة الطفولة تحكى   رقة الطفل حين يأتى الوجودا
يا لها ... هل تموت والماء منها   قيدخطو ؟ ... لهفا عليه وليدا
غمستها فى الماء كفى ... فراحت   تضرب الكف رغبة فى الفرار
طفلةالبحر : إن تركتك للبحر   أترعين بعد هذا جوارى ؟
من ضمينى بأن أراك إذا أصبـحت فى الغيد فاتنات العذار ؟
كم رعينا الظباء وهى صغار   فاسألى اليوم عن جحود الكبار !

طفلةالبحر : قد رجعتك للبحر   فعودى فيه لجـو النعيم
واسعدى بالمقام فى لجه الصا   فى بعيداً عما نرى من هموم
واحذرى الصائد الخئون إذا ما   جاء يسعى بطمعه المسموم
واذكرينى ... فإن ذكراك أندى   لفؤادي من آدمى اثيم

دمية البحر : من رعى الود يوماً   مثلنا نحن معشر الشعراء ؟
لو رآك الغداة غيرى لما طالعـت منه إلا نذير الفناء
ولدا ست أقدامه جسمك الغض   فأمسى مبعثراً فى الهواء
إنعمى بالحياة ... إنا أناس   دأبنا فى الحياة بذل الإخاء .

(رأس البر)   **محمد يوسف المحجوب**

ثلوج الوحـدة

للأديب رشيد ياسين

« إلى تلك السنوات التى قضيتها جارياً وراء مثل خادعة ... أسوق هذه اللمة ! »

هلمى ينابيع المآسى وتمتمى   كيانى،وشبى عاصفاتك فى دمى
وخلى وجودى فى فم النار آهة   وشكوى،على سمع المقادر،ترتمى
فيارب مأساة يذيب لهيبها   ثلوج سآمانى ، ويمحو تبرمى
فأنسى شرورى فى مفاوز وحدتى
وأحرق بالآهات صمتى على فمى !

مع الوحدة الخرساء عادت سذاجتى
تكاف مغبون وصرخة ناقم
دفنت مراحى فى تهاويل حكمتى   وضيعت فى صيد السراب تبسمى
وعشت يغشينى الضباب فلا أرى   سوى أنجم تنقض فى إثر أنجم
أسير . فلا ظل لخطوى على الثرى ،   وأشدو فلا ألقى صدى لترنمى
أدور على نفسى . وعينى كفيفة   كدوامة يلهو بها لاعب عمى
وحولى وجوم فى فؤادى له صدى   وفوق ركام(١) من أسى وتندم
وفى مقلتى طيف من الشك حاطم   تغذيه أشلاء اليقين المحطم

هلمى احرقى دنياى علىّ أهتدى   إلى دربى الخافى بنار تألمى
وأوقد من ماضىّ فى فورة اللظى   بخوراً على قبر الشباب المهدم
فيارب مأساة يذيب لهيبها   ثلوج سآماتى ويمحو تبرمى
فأنسى شرورى فى مفاوز وحدتى   وأحرق بالآهات صمتى على فمى !

(بغداد)   **رشيد ياسين**

(١) الركام : السحاب الكثيف

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

سر الكافورة :

طالعني غير واحد من إخواننا الأدباء ، بهذا السؤال : لم لا يكتب الأستاذ الزيات في هذه الأيام ؟ وكنت أجيب إجابات مختلفة ، ليس منها أنه مستسلم للكسل ... وهل يليق أن أجيب بمثل هذا عن أستاذنا الجليل ؟

يقضي الأستاذ أكثر أيام الصيف بالمنصورة ... هناك تحت الكافورة « كافورة الزيات » المشرفة من أحد النوادي على النيل والتي خلدها في بعض ما كتب منذ بضع سنوات .

والعجيب أن الزيات ، الأديب المعروف بالتعبير الجميل عن كل مايقع تحت حسه المرهف ، يخلد الآن إلى « الكسل الفني » تحت الكافورة ... وهو الذي لم يمنعه مرضه في الأيام التي قضاها مستشفياً بحلوان — أن يكتب ما أوحت إليه ، ولم ينس قراء الرسالة تلك اليوميات الممتعة .

فما أجدر الكافورة والمنصورة والريف القريب منها الذي يتردد عليه الأستاذ — بأن تفيض على قلمه من جمال البيان مايصل به صدر الرسالة الذي جافاه من نحو شهرين .

ولست أجزم بأن الأمر في ذلك يرجع إلى الكسل ، فما يدريني ، لعل الكافورة تظلل سراً يختمر ...

قضية أدبية هامة :

تلقيت من الأستاذ عباس السيد أبو النجا المحامي ، كتاباً قفى به على أثر الشاعر محمد محمد علي السوداني الذي عتب على الرسالة بقصيدة لإهمالها نشر أشعاره ، فأعتبته ونشرت قصيدة العتاب في العدد (٧٨٦) .

يقول الأستاذ أبو النجا إن ما أبداه الشاعر العاتب « ترجمان صادق لما تزخر به من الشكوى نفوس الكثيرين من أدباء الشباب ، فقد درجت بعض المجلات الأدبية والصحف اليومية على إغفال ما يرد إليها من ثمرات قرائح المتأدبين من الشباب والإلقاء بنفثاتهم في سلة المهملات رغبة عنهم إلى أولئك الذين نبه ذكرهم وبعد شأوهم من كبار الأدباء » .

وبين ما يترتب على هذا الاتجاه من آثار بالغة في حياة الأفراد والأمة ، بأنه يشكك ناشئة الأدباء في أدبهم ، لأن معيار جودة الأدب هو نشره ، ومتى تسرب الشك إلى النفس قلقلت ومالت جذوتها إلى الخمود ؛ وهذا يميت في ناشئة الأدباء روح الأدب ، إذ يصرفهم عن التحصيل وتعهد مواهبهم ، إلى أن يقول : « أما النتيجة الضخمة التي يؤدي إليها هذا الأثر وذاك فهي تأخر الأدب في الأمة وعدم ازدهاره فيها ، لقلة عدد الأدباء والمفكرين من أبنائها ؟ والأدب في كل أمة مرآتها المجلوة ، ولسانها المعبر عن المذخور من أمجادها ، والمرجو من تقدمها ونهوضها » .

ويقول الأستاذ إنه عالج نظم الشعر ، ودفع ببعض ما نظم إلى بعض الصحف والمجلات ، وفي جملتها الرسالة ، فلم ينشر له إلا قصيدة في مجلة قدمها إليها أحد أصدقائه الصحفيين . ويسأل في آخر كتابه : هل المهم هو جودة الأدب أم شهرة الأديب ؟ ويقول : « صحيح أن كبار الأدباء قد انقادت لهم أزمة البيان ، ومن المحقق أنهم أقدر على الغوص والسبوح والتحليق ... ولكن هذا لا يمنع من أن يكون في الناشئة موهوب سبق عمره فهماً وفطانة وكلت أداته يافماً ، فهل يكون جزاؤه — لأنه مغمور — أن نغفل إنتاجه ونهمله ؟ »

وكل ما ذكره الأستاذ في رسالته صحيح لاشك فيه ، وتصوير المسألة وبيان آثارها كما صور وبين . ومن المؤسف أن المهم — عند الكثيرين من المشرفين على الصحف — هو شهرة الأديب لا جودة الأدب ، فهم يقرؤون المقالات والقصائد من ذيولها ... أما « الرسالة » فالأمر في ذلك عندها لا يعدو زحمة الوارد واختيار الجيد والصالح للمحافظة على مستواها الأدبي المعروفة به ، وليس كل ما يهمل لرداءته ، فثمة اعتبارات أخرى تتعلق بالموضوع وروح المجلة وغير ذلك . والرسالة

قد فتحت ذراعيها للشباب منذ نشأتها ، حتى تخرج فيها طائفة منهم أخذوا أماكنهم بين الكتاب والشعراء ، ومنهم من هو فى الصدارة الآن ؟ ويوم بدؤوا فيها قبلتهم لجودة أدبهم بطبيعة الحال ، فلم تكن أسماؤهم معروفة ، فلا يجوز مع ذلك أن ترى بأنها توصد الأبواب أمام الشباب .

الألفاظ الأجنبية بين الأمس واليوم :

نشرت مجلة الإصلاح الاجتماعى مقالاً لأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد باشا ، عنوانه « موقف العربية من الألفاظ الأجنبية » وهو من مقالات معاليه القديمة التى كان يكتبها فى أوائل هذا القرن ، قالت المجلة إنها تنشره للوقوف على آراء قادة الفكر فى مطلع النهضة الحديثة . أثار أستاذ الأساتذة فى ذلك المقال قضية لا تزال من قضايا اليوم ، فقد دعا الكتاب أن يتساهلوا فى قبول الألفاظ الأوربية (كالأوتومبيل والبسكليت) ويدخلوها فى الاستعمال الكتابى كما أدخلها الجمهور فى المخاطبة قائلاً بأن اختراع أسماء تستعمل فى الكتابة وحدها يوسع مسافة الفرق بين لغة الكتابة ولغة الكلام . والطريف فى نشر المقال فى هذا الوقت أنه يتضمن وجهات نظر تغير أساسها الآن تغيراً تاماً ، فما كان معاليه يدرى — إذ ذاك — أن « السيارة » ستجرى على ألسنة الناس أكثر وأسهل من « الأوتومبيل » إذ قال : « نشر مجمعنا اللغوى رحمة الله عليه أن الأتومبيل (بالأفرنكى) اسمه (بالعربى) سيارة . فإذا قلت لواحد من أهل العلم (جاءت سيارة) فهم من ذلك أنك تخبر عن جماعة من الناس سائرين أو عن أحد الكواكب فأما فى العرف الفلاحى فالسيارة هى الهيئة المؤلفة من جماعة من الفقراء أبناء الطريق يحملون لواء طريقتهم وطبولها وبازاتها لينتقلوا إلى مولد من الموالد ، هذا هو ما أظن أهل القاهرة يعبرون عنه (بالإشارة) فإن قلت لخادمك جىء بسيارة فتح لك فاه ووقف ينتظر تعريباً للسيارة حتى تقول له جىء (بأتومبيل) ... »

وما كان معاليه أيضاً يعلم وهو يترحم على المجمع اللغوى القديم — أنه سيصير رئيساً للمجمع اللغوى الحالى الذى يسير فى نفس الطريق فيستبدل بأمثال « الأتومبيل » أمثال « السيارة »

وبعد فلا تزال القضية — كما قلت من قضايا اليوم ، بل هى من المعضلات ، فليست كل الأسماء (كالأتومبيل) والسيارة ، فثمة كثير من الكلمات الإفرنجية لا نزال نستعملها فى الكتابة ، وقد تعبت الأقواس فى حراستها ... وكثيراً ما تستأنس فتترك بلا أقواس . وقد وضع المجمع اللغوى كثيراً من الأسماء لمسميات حديثة ، ولكن الكتاب حتى أعضاء المجمع منهم لم يلتزموها فى كتاباتهم ، فلم نر أحداً منهم كطه حسين أو أحمد أمين أو المازنى يكتب المسرة أو المشن بدل (التليفون والدش) وهل يعبر الدكتور أحمد زكى عن تحليل الكحول بـ (الحلكحة) ؟

والفئة الصابرة فى هذا الميدان ، هم أطفال المدارس وتلاميذها ، وهم وحدهم المكلفون بتنفيذ قرارات المجمع اللغوى ... فالطفل فى السنة الأولى الابتدائية لا بد أن يكوّن جملا تشتمل على « السحاح » « والأرزن » « والمشرجَع » وهو حين يشب عن الطوق ... ويقرأ لكبار الكتاب لا يجد هذه الكلمات وأمثالها فيما يقرأ ، فينفض يده منها كالمعلومات التى يمتلىء بها ليفرغها فى الامتحان !

وقد تقول إن بعض الكلمات التى لا نستسيغها الآن ، قد تسير كما سارت السيارة وكثير غيرها ، ولكن هذا لا يكون إلا فى الكلمات التى يقبلها الكتاب ويمنحونها الحياة بأقلامهم . ولاشك أن للكتاب عذرهم فى استعمال الأسماء الأجنبية التى لم توضع لها أسماء عربية موفقة ، أو لم يوضع لها شىء ألبتة . وأنا لا أرى أحداً يستطيع أن يصف غرفة من الغرف الحديثة فيسمى كل محتوياتها بأسماء عربية صحيحة ، ويؤلف من ذلك — إن استطاع — كلاماً يقبله الذوق المصرى . وهذا مثل واحد ، وغيره كثير .

وما أحسبنا إلا متفقين على ضرورة المحافظة على سلامة التعبير العربى ، وقبول ما يوفق فى وضعه من الأسماء للمسميات الحديثة ، بطريق وجود الاسم فى اللغة ، أو بالاشتقاق أو النحت أو التعريب ، ومن التوفيق فى وضع الاسم أن تقبله الأذواق ، ولا يكفى إقرار المجمع إياه . والمشكلة فيما عدا ذلك من الأسماء الأجنبية ، أفنقبلها كما هى . . أم ماذا نصنع ؟

الفكاهة فن :

ألقى الدكتور إبراهيم ناجى محاضرة موضوعها « سيكلوجية الفكاهة » بنادى جماعة العمل الوطنى الاجتماعى يوم السبت الماضى . وقد شرح فى هذه المحاضرة علاقة الضحك بالغريزة ، ثم تطرق إلى العلاقة بين الفكاهة والفن ذاهباً إلى أنها لون من

أوانه ، وقال إن هذا الرأى خاص به ، لأنه لم يجده فيما لديه من المراجع السيكلوجية والفلسفية ، ثم دلل على أن الفكاهة فن ببيان التشابه بينهما فقال : إن الفن مشتق من العاطفة مباشرة والفكاهة كذلك ، وقد يلونه الفكر كما يلون الفكاهة الراقية . والفن عند علماء النفس لعب بالانفعالات ، أو هو طاقة حيوية فائضة ، ولذلك يتبع من غريزة غنية بالعاطفة ، ولا يمكن أن تنتجه الغريزة الضحلة ، كذلك الفكاهة الفكرية الراقية لا يمكن أن يجىء بها إلا الأذكياء ، ولا يدركها بسرعة إلا الأذكياء . ويتفق الفن مع الفكاهة فى أن كليهما متعة وسرور ، وفى أنهما لا يهدفان إلى غاية اجتماعية ظاهرة ، وأن التهذيب بوساطتهما ناشىء من طبيعتهما الاجتماعية . ويرجع السبب فى أن عباقرة الفن ممن يجيدون الفكاهة أدباً أو تصويراً ، إلى أن الفكاهة والفن من معين واحد ، وأكاد أقول إن الكاتب الذى يجيد كتابة المأساة كشكسبير يجيد الفكاهة ، لأن أعذب الفكاهة هو الذى يجىء بعد كبت ومرارة كرد فعل ...

والنكتة البارعة سرها فى حل مسألة أو مشكلة ، أو فى وصف شىء بقول مبتكر سريع غير منتظر ، وهذا يشبه اللفتة الذهنية البارعة فى الفن الأدبى الرفيع كالاستعارة التى ترى إلى وجه شبه بعيد ، أو تناقض غير منتظر .

ثم ختم الدكتور ناجى محاضرته بقوله : يلاحظ أن الفكاهة فى الأدب العربى القديم كانت تكثر عن الطفيليين والتسولين ، وهذا لون لا نراه الآن كثيراً . وكذلك تكثر فى الأدب العربى الفكاهة باللعب اللفظى ، ولا يزال هذا شائعاً .

فن مصرى :

الفكاهة باللعب اللفظى فن مصرى ، نشأ على ألسنة الشعراء والأدباء فى العهد الأيوبى وكثر فيما بعده ، ولا يزال شائعاً فى فكاهاتنا المصرية كما يقول الدكتور ناجى ، وأكثر ما يكون ذلك بالتورية والتجنيس . وكان من أسبق فرسانه الشاعر المصرى أبو الحسين الجزار ، قال فى زوج أبيه :

وقائل قال : ما سنها ؟ فقلت : ما فى فمها سن

وقال على لسان طبيب عيون :

يا سائلى عن حرفتى فى الورى واضـيعتى فيهم وإفلاسى
ما حال من درهم إنفاقه يأخذه من أعين الناس

ومما يستملح ذكره فى هذا المجال أن الأستاذ العقاد كتب إلى شاعر يسكن بشارع العجم فى مصر الجديدة هكذا :

« إلى شاعر العرب فى شارع العجم » .

ولست أدرى هل يكون « المرسل إليه » شاعر العرب إذا خرج من شارع العجم ؟ !

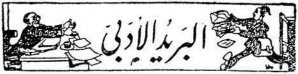
الأدب والفن فى قسم حلوان :

« وبتفتيش المشتبه فيه وجدنا معه أوراقاً فيها شـــعر وموضوعات أدبية » .

هذه فقرة من محضر التحرى الذى عمل لى فى قسم بوليس حلوان ، و « المشتبه فيه » هو أنا ، والذى حامت شبهته حول شرطى ذكى ألمعى ... رآنى بحديقة الفندق المجاور لعين حلوان وأنا منهمك فى الكتابة ، ثم رآنى أغادر الفندق إلى مبنى المياه المدنية ، وقد عرجت عليها فى طريقى إلى المحطة حوالى الساعة الحادية عشرة مساء ، فظن بى الظن كأن لم ير ولم يسمع ! ورآها فرصة مواتية لإظهار الكفاية والبراعة ، فلا بد أنى وضعت قنبلة فى مكان من هذه البقعة ، وعما قليل تنفجر ، وهذا هو ملقيها ! ولم يكن بد من الذهاب إلى قسم حلوان . وقال الضابط للشرطى الخارق الذكاء : وكل من تراه خارجاً من القهوة تأتى به ؟ ! ولكن هذا لم يمنع الضابط من أن يتمم ما بدأه الشرطى ... فسألنى وأجبت ، فقال لى : « وحضرتك لازم تتفلسف وتكتب مقالات ! ! وربنى اللى كنت بتكتبه ... » وجعل الضابط يقرأ صامتاً ، وأنا أرجو أن أكسب قارئاً جديداً . ولم يخب رجائى فقد تفضل وأذن لى بالجلوس على كرسى بجواره ... ولكن « محضر التحرى » لا بد منه . وهذا يقضى بحجزى فى القسم حتى يثبت لهم أن « التفلسف وكتابة المقالات » لا ينطويان على خطر ... وتذكرت صديقى الأستاذ سيد قطب فهو من سكان حلوان ، فاستنجدت به ، فأسرع إلى فى القسم ، ولولاه لبت ، وبات معى الأدب والفن ، فى قسم حلوان . وتركت الصديق الكريم فى القسم يتمم معهم « إجراء اللازم » وعدوت إلى المحطة لألحق بآخر قطار من حلوان فى منتصف الساعة الثانية صباحاً .

ولم آسف أكثر مما أسفت لذهاب نشاط البوليس فى اعتقالى هباء ... ألم يكن من المحتمل أن يكون مكانى « عنصر خطر » ولكن لا بأس ، وأرجو لهم حظاً أحسن فى غير هذه المرة .

عباس خضر



زعماء الإصلاح في العصر الحديث :

نشر الأستاذ الفاضل محمد خليفة التونسي في العدد ٧٨٨ من الرسالة الغراء كلمة عن كتاب (زعماء الإصلاح في العصر الحديث تأليف الأستاذ الجليل أحمد أمين بك ، وإنه لواجب عليّ أن أقول كلمة صغيرة أعقب بها على هذا النقد لعلها تبين شيئاً من أمر هذا الكتاب وإخراجه وتسميته .

لما أخذ الأستاذ الجليل أحمد أمين بك في دراسة بعض الشخصيات الإسلامية الكبيرة في مجلة الثقافة الغراء حوال سنة ١٩٤٤ وما بعدها جعل عنوان دراسته (زعماء الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر) فراقتني هذه الدراسة القيمة ، لأن هذا الجيل لا يعلم من أمر هؤلاء المصلحين إلا قليلا ، بل لا يكاد يدري من أمر إصلاحهم شيئاً ، ولكني خشيت أن لا تتناول هذه الدراسة أمثال الأستاذ الإمام محمد عبده والسيد عبد الرحمن الكواكبي وغيرهما ممن قضوا نحبهم في القرن العشرين ، وما دام الأستاذ المؤلف قد درس شخصية السيد جمال الدين الأفغاني فلا بد له من أن يدرس شخصية الأستاذ الإمام محمد عبده لأنه تلميذه الأول وخليفته في الإصلاح الديني والفكري في الشرق كله وفي عنق كل مسلم وكل مفكر في هذا العصر دين كبير لهذين المصلحين العظيمين .

من أجل ذلك كله رأيت أن أقترح على الأستاذ الجليل أحمد أمين بك أن يوسع من أفق بحثه حتى يشمل من ذكرنا ، ولا بأس من أن يجعل عنوان هذا البحث (زعماء الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث) وأن يجرد هذه الفصول ليبني منها كتاباً برأسه ينتفع هذا الجيل منه ، ويكون له أسوة حسنة فيه وأرسلت بما رأيت كتاباً إلى حضرته ، فتفضل حفظه الله وبعث إليّ بجواب مؤرخ ٢٤ / ٦ / ١٩٤٤ هذه صورته :

حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ محمود أبو رية[1]

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأشكركم على خطابكم ، وسآخذ برأيكم في تسمية البحث ، زعماء الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث ، وأضم إليه بعض الأشخاص التي أشرتم إليها ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أحمد أمين

وما لبث حضرته — بعد هذا الخطاب — أن غير عنوان البحث في مجلة الثقافة الغراء ، فجعله : (زعماء الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث) وظل يكتب بحثه إلى أن فرغ من بحثه فيما كتب عنهم ، وكأنه عند ما أراد أن يخرج هذه البحوث كتاباً اختصر هذا العنوان فجعله : زعماء الإصلاح في العصر الحديث .

هذا ما رأيت أن أعقب به على ما كتب الأستاذ الفاضل التونسي لأبين للناس ما أعرفه من إخراج هذا الكتاب وتسميته

ولو أن الأستاذ الجليل أحمد أمين بك قد أراد أن يدرس شخصياته دراسة (بيوجغرافية) كما يريد الأستاذ التونسي لما أعجزه ذلك ، بل لكان عليه هيناً ، ولكن كيف يتبع هذه الطريقة في ترجمة عشرة من الزعماء — أو عشرين كما يريد الأستاذ التونسي — ثم يخرج هذه التراجم كلها في مجلد واحد !.

ولعل الأستاذ التونسي بعد أن يطلع على كلمتنا هذه أن يغير رأيه في هذا الكتاب القيم وينظر إلى قيمته في نفسه وأثره النافع عند قارئيه ، وهو جد عليم بأن مجال البحث في دراسة هذه الشخصيات وغيرها لا يزال واسعاً لكل من يشاء أن يدرسها بما يحسن من طرائق وأساليب ، ويعلم كذلك أن التاريخ نهم لا يشبع ، وهو في حاجة دائمة إلى دراسات مختلفة لشخصيات العلماء وأعلام الفكر والإصلاح .

على أن الذي نأخذه على الأستاذ التونسي هو تنقيبه على تلك الهنات الصغيرة التي أوردها ، لأن مثل هذه الهنات مما لا يكاد يخلو منه قلم كاتب ، وهو نفسه قد زل قلمه ووقع فيما انتقد فيه غيره ، وإلا فما رأيه في كلمة (مبرر) التي استعملها في معنى مسوغ وهي كلمة عامية ، ثم هل يرضيه أن يُجمع (معجم) على (معاجم) ؟

ونكتفي بهذا القدر ، وللأستاذ منا خالص التحية .

محمود أبو رية

تحية كريمة :

أرسل الأديب الألباني الأستاذ وهبي إسماعيل حق كتابه الجديد « المهد الذهبي » إلى أمير القصة المصرية صاحب العزة محمود بك تيمور وقد تفضل وأرسل عزته إليه الخطاب الآتي :

(1) أثبتنا هنا الخطاب بنصه اتباعا لقاعدة نشر النصوص على أصلها

عزيزى الفاضل الأستاذ وهبي إسماعيل حقى
تلقيت هديتكم القيمة « المهد الذهبي » وقصص أخرى من الأدب الألباني . وإنها لمجموعة طريفة تجلو لنا فى صدق ووضوح أغوار النفس الألبانية وحياة المجتمع . وإنى شاكر لكم أجل الشكر إذ أتحتم لى الفرصة لأن أستمتع بذلك اللون الجديد من الأدب الشرقى ، وأرجو لجهادكم الطيب كل توفيق ونجاح .

وإنى مقدر لجهودكم الطيب فى توطيد أو أصر الود والولاء بين القطرين الشقيقين راجيا لكم حسن التوفيق ومطرد النجاح وتقبلوا خالص مودتى واحترامى .

المخلص
محمود تيمور

١ — تواريخ القدس :

ذكرنى مقال الأستاذ أحمد رمزى بك فى عدد سابق من « الرسالة » بناحية من نواحى عناية المسلمين بيبت المقدس ، وهى كثرة التأليف فى تأريخه . من ذلك ما جاء فى كتاب (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى ص ١٢٤) : جمع تاريخ بيت المقدس وفضائله الحافظ أبو القاسم مكى بن عبد السلام بن الرميلى المقدسى ، وفضائله أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطى الخطيب والصلاح خليل العلائى ، وللعماد الاصبهانى الفتح القدسى ، وللحافظ أبى بكر بن المحب من نزل بيت المقدس ، وللبرهان بن الفركاح الفزارى باعث النفوس على زيارة القدس المحروس .

ومن الكتب المؤلفة فى ذلك أيضاً : تاريخ القدس لمحمد بن محمود بن اسحاق القدسى ، والجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى ، ومثير الغرام إلى زيارة القدس والشام ، واتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى لابن أبى شريف ، والروض المغرس فى فضائل بيت المقدس للتاج الحسينى ، ولطائف أنس الجليل فى تحائف القدس والخليل لمصطفى القيمى ، والأنس الجليل

٢ — إنباء الغمر بأنباء العمر :

تكرر كثيراً فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق وغيرها اسم « إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلانى » بتقديم الباء على النون . والصواب « إنباء الغمر بأنباء العمر » بتقديم النون على الباء ، لأن الكتاب يذكر فيه مؤلفه الأنباء التى دفعت فى زمنه ، ثم يسرد أسماء المتوفين فى كل سنة . وللمؤلف كتاب خاص بأبناء عصره اسمه « الدار الكامنة » . وقد جاء اسم الكتاب صحيحاً فى « فهارس الكتب المصرية » .

محمد أسامة عليبة

لا تسألوا عن أشياء أيضاً :

كنت أحسب أن الآيتين الكريمتين : « وما أنزل الرحمنُ من شيء إنْ أنتم إلا تكذبون » ، « وقلنا ما نزَّل الله من شيء إنْ أنتم إلاَّ فى ضلال كبير » . فيهما وحدهما الرد على أستاذنا الكبير البشبيشى فى الرأى الجديد الذى ارتآه فى صرف كلمة أشياء الممنوعة من الصرف بإجماع الآراء — فإذا بالأستاذ يقول فى العدد ٧٨٩ من الرسالة الغراء « ولا وجه للقياس على توالى القطعين بتكرار (إنْ) فى قوله : من شيء إن أنتم ... إذ من الممكن بل من الحسن الوقف على كلمة شيء فى الآيتين . . »

وإذا جاز الوقف على شيء فيهما جاز أيضاً الوصل بل هو الأولى والأعلى والأصح خاصة فى الآية الأولى ، فيتوالى إذاً القطعان (إنْ إنْ) بلا تنافر ولا ثقل ولا إخلال بحسن الجرس أو التناسب أو التناسق الملحوظ فى القرآن . والوصل هو الأصل إذا جاز الفصل كالمعروف :

وإذا كانت همزة شيء مسبوقة بحرف لين صامت ، وهمزة أشياء مسبوقة بحرف مد صاعد ، فالأخف والأسهل نطقاً وذوقاً حرف المدّ لا حرف العلة مما يسيغ تنوين همزة أشياء لو جاز فيها التنوين ومتى ورد توالى القطعين (إنْ إنْ) بسهولة سائغة فى الآيتين ولم يرد ذلك فى آية : لا تسألوا عن أشياء ، مع إمكان ذلك لو صح تنوينها — فلا وجه لشبهة من ثقل أو تنافر وتبقى الكلمة كما كانت ممنوعة من الصرف فى القرآن وفى غير القرآن

ولما كان الأستاذ البشبيشى لم يورد لها استعمالاً مصروفاً فى القرآن أو فى الحديث أو فى الشعر القديم أو فى النثر المعتمد فأنا ما أزال أقول (ولا يقال : أنا لا أزال أقول كما قال الأستاذ إلا فى الدعاء كقول ذى الرمة : ولا زال منهلاً بجرعائك القطر) ما أزال أقول إنَّ الكلمة ممنوعة من الصرف لأحد الأسباب الكثيرة المعروفة التى أثقلت كواهل النحويين فى الكتب وأفهام الطلبة فى المدارس ، فهل يريد أستاذنا البشبيشى أن نزيدها سبباً جديداً ... ؟

أحمد أحمد العجمى



من الأدب الروسي :

شجرة عيد الميـــلاد

للكاتب القصصي تيودورد وستوبفسكي

بقـــلم الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

أنا كاتب قصصي ، وأعتقد أنني كتبت هـذه القصة . أقول « أعتقد » مع علمي التام بأنها من إبداع قلمي. ولـكنني مع ذلك على يقين بأنها قد حدثت فعلا في مكان ما في زمن ما ، وقعت في بلدة كبيرة ذات ليلة من ليالي عيد الميلاد الشديدة القر

إني أتخيل غلاماً ، صبياً صغيراً ، له من العمر ست سنوات أو أقل . استيقظ من مرقده في قبو رطب بارد ، وكان يرتدي جلباباً قصيراً ويرتجف من لفحات القر ، وتخرج من فمه مع زفيره سحابة بيضاء من البخار وهو قابع على صـندوق في ركن من أركان القبو ، يراقبها تتصاعد في الجو مبتعدة عنه .

كان يشـعر بالجوع يلوي أحشاءه .. وكم ذهب العديد من المرات في صباح ذلك اليوم إلى الفراش العاري الذي ترقد عليه والدته العليلة ، ذلك الفراش ذو الحشية الرقيقة المهلهلة والوسادة أشبه ما تـكون بالأسمال .

ما الذي أوجدها هنا ؟ لعلها قدمت مع ولدها من بلدة أخرى ثم دهمها المرض فجأة . كانت صاحبة الدار قد قبض عليها منذ يومين وأودعت السجن . ورحل معظم السكان لاقتراب العيد ولم يبق في الدار إلا من ثمل دون أن ينتظر عيد الميلاد ، وعجوز في سن الثمانين رقدت في أحد الأركان تتأوه وتتوجع من آلام (الروماتزم) وتعنف الصبي وتبـــدي تذمرها منه فيخشى الاقتراب منها .

كان في وسعه أن يحصل على ما يروي ظمأه من الغرفة المجاورة ، ولـكنه لا يجد كسرة من الخبز يسد بها رمقه وكم قاسى من ذلك الجوع الذي كان يدفعـه إلى محاولة إيقاظ والدته عشرات المرات . وشعر أخير بالخوف ينتابه الخوف من الظلام . كان الليل قد أرخى سدوله ، ولم يكن عنده ما يستضيء به ، ولمس وجه والدته فلم تبـد أي حراك . كانت باردة برودة الحائط . فجعل يخاطب نفسه قائلا « إن الجو بلا شك بارد جداً » ووقف لحظة ، وبدون أن يشعر ، وضع يده على كتفي والدته ، ثم نفخ في أصابعـه يدفئها ، ثم جعل يبحث عن قلنسوته فوق الفراش ، وأخيراً خرج من القبو .

لقد كان يود أن يخرج مبـكراً ، لولا فزعه من الـكلب الـكبير الرابض عند باب الجيران . ونظر ، فلم ير للـكلب أثراً ، فتابع سيره لا يلوي على شيء .

فليرحمنا الله . يا لها من بلدة ! إنه لم ير مثلها من قبل . حقاً إنها لم تكن كبلدته . كان الليل حالك الظـلام ، ولم يكن في الطريق سوى مصباح واحد . وتوارى الناس في ديارهم ، فلم يسمع إلا نباح الـكلاب ، مئات بل آلاف منها تنبح وتعوي طوال الليل . ولـكنه كان في بلدته يستشعر الدفء ويجد ما يقتات به . أما هنا ... آه لو استطاع أن يجد ما يأكله . يا لها من جلبة وضوضاء ! ويا لها من إضاءة ! ويا لهؤلاء القوم وتلك المركبات ، وهذا الصقيع ! كان البخار يتصاعد في سحب من أفواه الجياد ، وكانت حوافرها تصطدم في سـيرها بالأحجار المغطاة بالثلوج المتراكمة . كم هو في حاجة إلى ما يسد غائلة جوعه ... ولم يشعر الآن بالتعاسة . واقترب منه شرطي فتنكب طريقه وابتعد عنه .

ها هو ذا طريق آخر ، وما أوسعه من طريق . كان الناس غادين رائحين ، يصيحون ويهرولون ويندفعون والضوء ! ذلك الضوء ! ولـكن .. ما هذا ؟ إنها نافذة زجاجية كبيرة . ونظر خلالهـا فرأى شجرة طويلة من أشجار عيد الميلاد ممتدة حتى السقف ، وقد تدلت منها مصابيح وأوراق مذهبة وتفاح ودمى صـغيرة وجياد . وكان الأطفال في ملابسهم القشيبة يلهون ويمرحون ، ويأكلون ويشربون . ثم ابتـدأت فتاة ترقص مع أحد الصبية . وانسابت إلى أذنيه نغمات الموسيق . ونظر وتعجب ثم ضحك . كانت أطرافه تؤلمه من البرد وأصابعه حمراء متصلبة ، توجعه إذا ما حركها . وعندما تذكر ذلك ، طفق يبكي ، ثم عدا

حتى انتهى به المطاف إلى نافذة أخرى شاهد من ورائها شجرة ثانية ، ومنضدة حافلة بمختلف الحلوى وقد جلس حولها ثلاث سيدات يوزعن الحلوى على كل من يقصدهن . وظل باب الدار مفتوحاً يدخله الكثيرون من الرجال والسيدات . وزحف الصبي ودفع الباب ، ثم دلف إلى الغرفة . لقد صاحوا فيه ودفعوا به إلى الخارج . وأقبلت عليه سيدة تهرول ودست في يده قطعة من النقود ، ثم فتحت له الباب ودفعته دفعاً إلى الطريق .

وسقطت قطعة النقود منه ، ورن رنينها على الأرض . ولكنه لم يستطع قبض أصابعه الحمراء لالتقاطها . وجرى مبتعداً ، وطفق يعدو إلى حيث لا يعلم . وكاد يبكي مرة أخرى . كان خائفاً مرتعباً ، واستمر يعدو وينفخ في أصابعه ، يائساً ، وحيداً جزعاً . ولكن ... ما الخبر ؟ كان الناس محتشدين أمام زجاج نافذة وقد ظهرت على محياهم علامات الإعجاب لرؤيتهم ثلاث دمى صغيرة تتحرك وكأنما قد دبت فيها الحياة . كانت الأولى تمثل رجلا عجوزاً جالساً يعزف على كمان كبير ، والدميتان الأخريان واقفتان تعزفان على كمانين صغيرين وتحنيان رأسيهما ثم تحيي كل منهما الأخرى . وكانت شفتاهما تتحركان كما لو كانتا تتحدثان .

ظن الصبي بادىء الأمر أنها حية . ولكنه عند ما استبان له أنها ليست إلا دمى ، ضحك وتهلل . أنه لم يشاهد مثلها من قبل ، ولم تكن تخطر له ببال . وألهاه ذلك المنظر عن شعور البكاء الذي انتابه . ثم شعر بمن يجذبه من ردائه ، فالتفت خلفه فرأى غلاماً يلطمه على أم رأسه ، ثم اختطف منه قلنسوته ، ثم ألقاه على الأرض ، فسقط الصبي مرتعباً ، ولكنه سرعان ماهب واقفاً وعدا مبتعداً عن النافذة وقد وجف قلبه فزعاً ، وطفق يعدو دون أن يدري إلى أين يذهب ، حتى وصل إلى باب ساحة ، فدلف إليها وتهالك على كومة من الأخشاب وهو يخاطب نفسه « إنهم لن يبحثوا عني هنا ، في ذلك الظلام المدلهم » .

وجلس منطوياً على نفسه ، مبهور الأنفاس . ثم شعر فجأة بالسعادة تغمره ، وزال الألم من أصابعه واستشعر الدفء وكأنه قرب موقد . فارتجف وصاح « عجباً ! لابد أني أحلم ! كم هو لذيذ أن ينام المرء هنا . سأرقد قليلا ثم أعود بعد ذلك لمشاهدة الدمى » وابتسم وهو يفكر فيها ، وقد تمثلت في خاطره كأنها مخلوقات حية . وسمع صوتاً حنوناً يهتف في أذنه قائلا « تعال إلى شجرتي . شجرة عيد الميلاد أيها الطفل » .

وظن الصبي أنها والدته هي التي تهمس في أذنه . ولكن . لا . إنها لم تكن والدته . من الذي يناديه ؟ ولم يجرؤ على النظر إليها عندما انحنت فوقه تحتضنه في الظلام . ومد يده إليها . وفجأة ... يا إلهي . ما هذا الضوء الباهر ؟ وما أجمل هذه الشجرة ! أين هو الآن ؟ كان في مكان جميل كثير الدمى . ولكن ... كلا إنها لم تكن دمى ، بل كانوا أولاداً نضرين في حلل قشيبة وقد تهللت وجوههم بشراً . وأقبلوا عليه من كل صوب يحيطون به ويقبلونه . وشاهد والدته تنظر إليه وقد أشرقت على شفتيها ابتسامة فياضة ، فصاح قائلا « أماه ، أماه ، ما أجمل أن يعيش المرء هنا ! » وجعل يقبل الأولاد ، وود أن يخبرهم عن الدمى التي شاهدها . وجعل يسألهم « من أنتم ؟ من أنتم ؟ » وهو يشاركهم الضحك معجباً بهم . فأجابوه « هذه شجرة عيد ميلاد المسيح ، شجرته الخاصة ، وهبها للأطفال الذين لا يملكون مثلها » .

كانوا أطفالا حالهم مثل حاله . فمنهم من تجمد برداً في السلال التي تركهم ذووهم فيها على عتبات الديار . ومنهم من لقي حتفه خنقاً خشية العار ، ومنهم من مات على ثدي والدته الجائعة والآخرون دهمهم الموت من فساد هواء المكان الذي كانوا يعيشون فيه . ومع ذلك .. كانوا كلهم مجتمعين هنا كالملائكة حول المسيح . وكان المسيح يتوسطهم ويمد يده إليهم يبارك لهم وأمهاتهم قد فاضت دموعهن . وكانت كل من تعرفت بولدها تندفع إليه في شوق تقبله فيمسح عبراتها بيديه الصغيرتين ، متوسلا إليها ألا تبكي . كانت تغمرهم السعادة .. السعادة الحقة .

وانبثق نور الفجر ، عندما وجد حمال جثة الصبي متجمده الأطراف من شدة القر ، راقدة على كومة الأخشاب .

وبحثوا عن والدته . كانت قد سبقته إلى العالم الآخر . لقد تقابلا أمام الله في السماء .

لست أدري لماذا كتبت هذه القصة التي لا تجري في أسلوبها مع مذكرات عادية أو مؤلفات كاتب . ولكن كل ما أدريه أني ما زلت على يقين بأنها ليست وليدة الخيال ، وإنما وقعت فعلا ، وإنه قد حدث ما حدث في ذلك القبو وكومة الأخشاب هناك .

أما عن شجرة المسيح ، فلا أستطيع أن أجزم هل هي حقاً في عالم الوجود أم أنها من نسيج خيالي .

(الإسكندرية) محمد فتحي عبد الوهاب

مطبعة الرسالة